

قراءة موجزة

في سيرة أم المؤمنين أم سلمة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

قراءة موجزة في سيرة

أُمِّ المؤمنين أُمِّ سلمة رضي الله عنها

صاحبة تربة الإمام الحسين عليه السلام

الدكتور

حسين علي الشرهاني

إصدار

وحدة النشر الثقافي

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جدول محتويات

الإهداء

أُهدي هذا البحث المتواضع إلى

مقام سيدي ومولاي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

وإلى مقام سيدتي أُمّ سلمة (رضي اللّه عنها)

وإلى زوجتي حباً ووفاءً

إلى أُطفالي عمار وعبد اللّه وجعفر

المقدمة

يعد الإسلام ثورة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية فضلاً عن كونه ثورة دينية، استطاع أن يقلب الموازين التي كانت سائدة في مجتمع الجاهلية، فأحدث تغييرات في مجالات متعددة في بنية هذا المجتمع فخلق مجتمعاً مثالياً قلّما نجد له مثيلاً في تاريخ الإنسانية، وكان التغيير تدريجياً ابتدأ بنبذ الشرك وملحقاته واستبداله بالتسليم والإيمان المطلق بوحدانية اللّه سبحانه وتعالى، ثم انتقل إلى معالجة المشكلات الاجتماعية والاهتمام بإنسانية الإنسان، فحارب الرق والعبودية والطبقية واستغلال الإنسان بسبب لونه أو نسبه أو غير ذلك، وعندما أصبح مركز الإسلام عزيزاً عالج القضايا السياسية والاقتصادية، بعد أن أنشأت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وتوسعت لتشمل الجزيرة العربية كلّها.

لذلك سعى الباحثون بمختلف انتماءاتهم إلى

الكتابة عن الإسلام في بداياته، وتناولوا مواضيع شتى بحسب اهتماماتهم، وكان للجانب الاجتماعي نصيب كبير من هذه الكتابات، لما له من أهمية في نجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها، لكنّ هذا لا يعني أنّهم غطوا كلّ المواضيع المتعلقة بهذا الجانب، لذلك اخترنا موضوعة بسيطة فيه وركزنا بحثنا فيها، وهذه الموضوعة هي أثر المرأة المسلمة في الدعوة الإسلامية ومواقفها عند قيام الدعوة، وركزنا على صناعة الإسلام لهذه المرأة والكيفية التي فتق فيها مواهبها وصقل شخصيتها وأخرجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، فأنتج عالمة ومجاهدة وعاملة ومربية وغير ذلك، فكانت كالأرض البكر الخصبة إذا اعتُني بها أنبتت أحسن نبت.

وفي بحثنا هذا حاولنا أن نتناول جانباً من التغيير الذي أحدثه الإسلام، فاخترنا امرأة ودرسنا سيرتها دراسة موجزة، وكان سبب اختيارنا لهذه المرأة ليس لكونها امرأة مسلمة فقط، أو لأنّها تشرفت بالزواج من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ما لهذا الأمر من أهمية، بل لأنّها كانت امرأة عاقلة لبيبة ذات آراء متوازنة وعقل منظَّم، وهي قوية إلى درجة استعدادها أنْ تضحي بكل شيء من أجل ما آمنت به من مبادئ وضعتها ثورة التغيير، فتركت العزّ والجاه والقبيلة

القوية التي تنتسب إليها لتهاجر مع زوجها، وتلتحق بركب الثوار الذين فروا بدينهم إلى الحبشة، ثم ترجع وتنال صنوف العذاب، ويكون قرارها أنْ تهاجر مرة أُخرى إلى يثرب فتكون أول امرأة مهاجرة إلى يثرب بمفردها ومعها ولدها الصغير قاطعةً مسافات طويلة لتصل إلى حيث يكون لمبادئ الثورة مجالٌ وحرية للحركة.

وعلى ما تقدم نجد أَنَّ المرأة موضوع البحث تستحق أنْ تسلط عليها أقلام الباحثين وأنْ يبرز دورها، لاسيما أنّها لم تنصف وتنال استحقاقها من البحث العلمي، على الرغم من أنّ كتب التراث الإسلامي حفظت لها كثيراً من الروايات والأحاديث النبوية التي نقلتها عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك بعد أن تزوجها على أثر استشهاد زوجها في معركة أُحد، حتى أنّك لا تكاد تفتح كتاباً من كتب الحديث أو التفسير أو الفقه من دون أنْ تجدها قد روت قسماً كبيراً من الأحاديث الموجودة فيه، وهذا ينقلنا إلى جانب آخر من شخصيه هذه المرأة.

وحتى بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن أُمّ سلمة امرأة هامشية بل كانت فاعلة في مجتمعها بالقدر الذي تستطيعه من أجل الحفاظ على ثمار ثورة التغيير، فوقفت طيلة حياتها التي امتدت

ما يقارب نصف قرن بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الحق، وأوضح هذه المواقف موقفها الحازم بوجه من خرج على خلافة الإمام عليٍّ (عليه السلام)، لاسيما عائشة فحاججتها بكلِّ ما تملك من قوة بيان وأدلة عقلية حتى أنّها لم تترك لها أيَّ منفذ لكنّ هذا الموقف لم يردع عائشة عمّا عزمت عليه.

وانتهت حياة السيدة أُمّ سلمة بعد أنْ شهدت أبشع جريمة ارتكبها طلقاء الأُمَّة وأعداء الإسلام والمتمثلة بقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وسبي نسائه وأطفاله والتمثيل بجسده، في معركة تجسدت فيها البطولة من جانب الإمام الحسين (عليه السلام) والذين معه، وفي الجانب الآخر برزت كلُّ صور الوحشية والهمجية والإجرام، وكأنّ هذه المرأة كانت شاهدة على التاريخ، فهي التي شهدت بناء دولة الإسلام منذ البدايات الأُولى، ورأت كيف بُنيت دولة الإسلام وتوسعت حتى صارت دولة الله في الأرض، ثم طالت بها السنون لترى انقلاب الكفر على هذه الدولة ومحاولة القضاء على ما قدمه الإسلام للإنسانية، فذهبت إلى ربها شاهدة على ما حدث راضية مرضية.

وعلى الرغم من أنّ بحثنا هذا كان مختصراً ويعتريه الكثير من النقص لكنّه يبقى محاولة للتعرف على أثر

السيدة أُمّ سلمة (رضي الله عنها) في دولة الإسلام، وهو لا يخلو من فائدة إذ حاول البحث أنْ يتسلسل في عرض حياتها وأثرها في الإسلام منذ دخولها فيه وحتى وفاتها.

ولم نقسم البحث إلى فصول بل فضلنا أنْ يكون موضوعاً واحداً متصلاً، تناول في البداية نسب السيدة أُمّ سلمة أي العشيرة القرشية التي انحدرت منها وعلاقة هذه العشيرة ببني هاشم من حيث القرابة، وعدد أبنائها ومآثرهم في الجاهلية، وأثرهم في أحداث مكة قبل البعثة، ومصادر القوة المالية التي ميزتهم عن غيرهم وأثر هذه القوة على وجودهم الاجتماعي والسياسي في مكة، ثم انتقل البحث للتعرف على أُسرة أُمّ سلمة القريبة، وصلة القرابة التي تربطها مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وموقفها من الدعوة الإسلامية، ثم حاول الباحث تحديد تاريخ ولادة السيدة أُمّ سلمة من خلال الروايات التي بينت مقدار عمرها وسنة وفاتها، ثم تطرق لإسلامها وهجرتها إلى الحبشة وعودتها إلى مكة مع زوجها عبد الله بن عبد الأسد «أبو سلمة»، ثم هجرتها إلى المدينة وحجم المعاناة التي تعرضت لها في هذه الهجرة إذ ضيقت عليها قريش وفرقت بينها وبين زوجها وابنها، ثم حاول الباحث تحديد تواريخ ولادة أبنائها.

ثم انتقل الباحث مع السيدة أُمّ سلمة وعائلتها إلى المدينة حيث تأسيس دولة الإسلام، فتناول المكان الذي نزلوا فيه وحياتهم في المجتمع الجديد، وأثرهم في بناء هذه الدولة ومشاركتهم في معاركها، واستشهاد أبي سلمة في إحدى هذه المعارك، وحال أُمّ سلمة بعد استشهاده.

وبعد ذلك تناول الباحث أهم مرحلة في حياة أُمّ سلمة وهي زواجها من الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وانتقالها إلى بيته وعلاقتها مع أزواجه ومشاركتها له في معاركه التي خاضها في سبيل بناء دولة الإسلام.

وكانت نهاية البحث قد ركزت على أثر أُمّ سلمة في الأحداث التي مرّ بها المسلمون في صدر الإسلام ابتداءً بوفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وانتهاءً باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

ومن المفيد القول إنّ البحث كان مقصوراً على الإيفاء بجزء مهم وأساسي من حياة أُمّ سلمة وهو روايتها للحديث والتفسير، إذ عرف عن أُمّ سلمة كثرة الرواية وذلك كان ناتجاً من المدة التي قضتها مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وصلتها الوثيقة به، لأنّها كانت دائماً تخرج معه في سفراته، واحترام الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لها ولآرائها، وهذا ما سنلاحظه في

طيات البحث، كذلك فإنّها عاشت فترة طويلة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه الفترة مرّ بها المسلمون بتحديات كثيرة لذلك كانوا يلجأون إلى الأشخاص الذين عاشوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل سماع الأحاديث منهم، وهذا النقص سببه أنّ هذه الأحاديث كثيرة ومنتشرة في عشرات المجلدات يصعب جمعها في بحث مقتضب كهذا، بل يحتاج إلى بحث مستقل لتناول الأثر الديني الذي تركته.

أما المصادر التي اعتمد عليها البحث فقد ركز على مجموعة من المصادر الأولية التي رأينا أنّها أساسية في تناول تاريخها فقد كانت كتب السيرة أكثر الكتب حصة في البحث لاسيما كتاب السيرة النبوية لابن هشام وذلك لأنّه يغطي الروايات التي تتناول حياتها في البعثة النبوية، كذلك فإنّ كتاب السير والمغازي لابن إسحاق رفد البحث ببعض المعلومات القيمة، وكان كتاب المغازي للواقدي مهماً جداً وذلك لأنّه جمع كلّ مشاركات أُمّ سلمة في معارك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي معلومات لا نجدها عند غيره، والمجموعة الأُخرى من الكتب المهمة هي كتب الطبقات وأهم هذه الكتب كتاب ابن سعد إذ غطى جوانب كبيرة من حياة أُمّ سلمة وهي معلومات على الرغم من انها

كانت تتضمن ثغرات زمنية لكنّها دقيقة ومترابطة، كذلك اعتمد البحث على كتب التاريخ العام لاسيما تاريخ الطبري الذي وفر معلومات مفيدة للبحث، وقدمت بقية المصادر معلومات لم تذكر في المصادر المتقدمة أو لسد الفراغات الموجودة فيها.

أما المراجع الحديثة فلم يعتمد عليها البحث وذلك لأنّ الباحث لم يقع في يده مراجع عن حياة السيدة أُمّ سلمة، وحتى المراجع التي تعرضت لحياتها أخذتها عرضاً في معرض حديثها عن السيرة النبوية بحيث لا نستطيع تمييز أثرها في الأحداث.

وفي الختام لا يمكن لنا أنْ نعطي لبحثنا أكثر من الحيز الضيق الذي شغله وفيه الكثير من النقص نسأل اللّه التوفيق.

تمهيد

منذ أنْ بعث اللّه سبحانه وتعالى محمداً (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إلى البشرية هادياً ومبشراً ونذيراً دأب على تربية المجتمع وفق أُسس ومعايير غاية في الدقة والإتقان، مستنداً إلى التوجيهات الإلهية التي تنزل عليه عن طريق الوحي وآخذاً بنظر الاعتبار الصعوبات التي سوف يواجهها في المجتمع الذي يعيش فيه، والتي كانت تعود إلى منظومة من القيم الجاهلية التي كانت تتحكم فيه، فجاء الإسلام ليقف منها موقف الرفض لأسباب عديدة منها ما هو متعلق بإنسانية الإنسان ومنها ما هو متعلق بأخلاقيات المجتمع والاستغلال غير المبرر الذي كان يسود فيه.

وكان الموقف من المرأة أحد أهم المواقف التي حاربها الإسلام وجاهد في سبيل تغييرها من أجل الارتفاع بالمرأة إلى مستوى يليق بإنسانيتها، وهذه المرأة التي نحن بصدد الحديث عنها كانت تملك من المؤهلات ما يجعل مهمة التغيير تسير وفق خطوط صحيحة ساعدت الإسلام في النهاية على تحرير المرأة

والارتفاع بشأنها إلى الحدِّ الذي أراده لها، وكانت النتيجة أنْ أثبتت المرأة استحقاقها فكانت أول مسلمة من النساء وأول شهيدة من النساء فأصبحت زوجة وأُمّاً وطبيبةً ومقاتلةً وعاملةً وحكيمةً وصاحبة مشورةٍ وفقيهةً وغير ذلك، لهذا نقول إنّ الإسلام جلا عن المرأة العربية ما لحق بها من أدران الجاهلية فظهر المعدن الأصيل لها، وأنتجت لنا ما نجده الآن في بطون الكتب من بطولات بيضت وجه التاريخ لنساء مسلمات أثَّر فيهن الإسلام فكن خير ممثلات له ولا يختلفن قيد أنملة عن الرجال إنْ لم يكنّ أحسن منهم في أحايين كثيرة.

وموضوع بحثنا إحدى هذه النساء وهي سيدتنا أُمّ سلمة هند بنت أبي أُمية المخزومية زوجة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأُمّ المؤمنين والقريبة من قلب الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) والتي كانت لها مكانة وأثر في الإسلام لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها بدون وقفة طويلة ومتأملة لهذا التاريخ المشرق الذي تركته هذه المرأة، ولسنا هنا نكتب عنها لأنّها زوج الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فحسب بل للعقل الراجح الذي امتازت به والمواقف السياسية والدينية التي وقفتها في صدر الإسلام مناصرة ومتعاطفة مع آل البيت عليهم السلام.

نسب السيدة أُمّ سلمة عليها السلام

قبل الدخول لدراسة شخصية أُمّ سلمة لابد لنا أنْ نتتبع نسبها وحياة أسرتها قبل الإسلام، فهي تنتسب إلى بني مخزوم القرشيين الذين كان لهم تاريخ حافل في الجاهلية والإسلام فمنهم عمرو بن هشام (أبو جهل) ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد من أوائل المسلمين المصدقين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وينتسب بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة إلى قبيلة قريش، ويلتقي هؤلاء بقصي بن كلاب بن مرة جد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرة بن يقظة[1]، وهذا يعني أنّهم ينتمون إلى الجذر نفسه الذي ينتمي إليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وولد مخزوم ثلاثة أبناء هم عمرو وعامر وعمران، وهذه البطون

---

١ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١١ وما بعدها.

الثلاثة لها علاقة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ إنّ فاطمة جدة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبيه، أُمّ عبد الله والد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، كما وتزوج هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران من أُمّ هاني بنت أبي طالب، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أُمّه برة بنت عبد المطلب عمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

أما ثقل هذه العشيرة فقد كان في بني المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، إذ ولد الكثير من الأبناء فمنهم هشام والد أبي جهل، والوليد أبو خالد وهاشم وأبو أُمية (حذيفة) والد أُمّ سلمة وإخوتها، وكان قد تزوج من عاتكة بنت عبد المطلب عمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي لم تكن والدة أُمّ سلمة[1] لذلك كانت أُمّ سلمة تربطها برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علاقة قربى زيادة على أنّ إخوتها هم أبناء عمته.

واشتهرت هذه العشيرة القرشية بالغنى وكثرة الأموال، إذ استفادت من الوضع الاقتصادي الذي خلقه هاشم بن عبد مناف، بعد أن ابتدع نظام الإيلاف الذي هو عبارة عن إنقاذ لوجود قريش الاقتصادي في

---

١ ـ المصدر نفسه، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

مدينة مكة الصحراوية التي ليس فيها أي نوع من أنواع الرزق سوى وجود الكعبة[1]. وبلغ من قوة هذه العشيرة أنّ المغيرة بن عبد الله استطاع أنْ يمنع قبيلة فزارة القبيلة العربية الكبيرة من الدخول إلى مكة للحج، وذلك لأنّهم قالوا إنّ قريشاً تأخذ ما يفضل من نحر الحجاج للإبل عند الكعبة[2]. كما استطاع أبناء هذا الفرع القرشي أن يجدوا لأنفسهم مكانة مع أبناء قصي في الإشراف على شؤون مكة، لاسيما بعد أن كثر عددهم وزادت قدرتهم المالية، فكان لهم القبة وهو المكان الذي تجمع فيه الأسلحة أثناء المعارك كما أُعطي لهم الأعنة وهي قيادة الخيل في الحرب[3]، وفي هذا دلالة على المقدرة المالية علاوة على العسكرية التي تمتعت بها هذه العشيرة.

ومن شخصيات هذه العشيرة المعروفة الوليد بن المغيرة الذي اعترضت قريش عندما نزل القرآن على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت كما عبر القرآن الكريم عن ذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ

---

١ -للمزيد من المعلومات راجع الباحث، هاشم وعبد المطلب، مجلة جامعة ذي قار.

٢ -أبن أبي الحديد، شرح النهج، ١٨/ ١٣٧.

٣ -ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣\٣١٤.

مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١]. فكان أحد هذين الرجلين الوليد ابن المغيرة والآخر مختلف فيه، أهو عروة بن مسعود الثقفي، أُمّ جد المختار بن أبي عبيد الثقفي[٢]،؟ وفي هذا دلاله على مكانة الوليد عند قريش، مع أنّ الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كان من بني هاشم الذين كانوا واسطة العقد من قريش وأصحاب المآثر العالية، ولم تنظر إليه قريش إلاّ بهذا الحال لكنّ على الرغم من ذلك فضلت نزول القرآن على الوليد، وذكرت الروايات أنّه كان يجلس في أيام عكاظ ليحكم بين العرب[٣]، وقد افتخر به أبو طالب لكونه من أخواله:

وخالي الوليد قد عرفتم مكانه

وخالي أبو إياس بن معبد [٤]

ومن بني المغيرة هشام الذي قال فيه الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم): (لو دخل أحد من مشركي قريش الجنة لدخلها هشام بن المغيرة، كان أبذلهم للمعروف واحملهم للكد) فكانت قريش تعرف له بذله للأموال[٥]، ويبدو أنّ بني مخزوم بذلوا الأموال من أجل مجاراة بني

---

١ - سورة الزخرف، الآية ٣١.

٢ -أبن أبي الحديد ، شرح النهج ,١٣٦\١٨.

٣ -المصدر نفسه، ١٣٣\١٨.

٤ -المصدر نفسه، ١٣٨\١٨.

٥ -المصدر نفسه، ١٢٣\١٨.

هاشم، فكان الوليد بن المغيرة يسمى العدل وذلك لأنّ قريشاً كلها كانت تكسو الكعبة سنة ويكسوها الوليد وحده سنة،[١] وهو الذي قال فيه أبو طالب.

وخالي الوليد عال مكانه

وخال أبي سفيان عمرو بن مرثد[٢]

وكان أبو أُمية بن المغيرة يسمى (زاد الر كب) لأنّه إذا خرج مسافراً لم يتزود معه أحد، وكان متزوجاً من عاتكة بنت عبد المطلب[٣].

من خلال ما قدمناه يبدو أنّ الإنفاق الكبير الذي يعرف عن بني مخزوم كان نتيجة للثراء الذي تمتعت به هذه العشيرة لاستفادتها من نظام الإيلاف وعدم تكلفهم وظائف الكعبة التي كان بنو هاشم وبنو عبد الدار مسؤولين عنها وهي الرفادة (إطعام الحاج) والسقاية وغيرها مما يتطلب إنفاق الكثير من الأموال، الأمر الذي أدى إلى نفاد الأموال، على عكس بني مخزوم الذين تكدست لديهم الأموال.

وتذكر الروايات أن القافلة التي أعترضها الرسول

---

١ -المصدر نفسه، ١٨\١٣٣هناك رواية تقول إنّ العدل هو أبو حذيفة بن المغيرة.

٢ -الأزرقي، أخبار مكة، ١\ ٣٦.

٣ -أبن أبي الحديد، شرح النهج، ١\٩٠-٩١.

(صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت سببا لمعركة بدر بقيادة أبي سفيان كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة الآف مثقال[١]، ويعزز هذا القول إن حلف الفضول كان سببه اعتداء العاص بن وائل السهمي على تاجر يمني من زبيد ولم يعطه ثمن بضاعته فنادى هذا التاجر مستغيثا حتى تجمع له بنو هاشم ومجموعه أخرى من بطون قريش فردوا إليه بضاعته، وكان قبل ذلك قد ذهب إلى الأحلاف ومنهم بنو مخزوم[٢] ولم يجيبوه وذلك لأنهم كانوا يريدون قطع تجارة التجار اليمنيين الوافدة إلى مكة من اجل السيطرة التامة على التجارة، إذ إن رؤوس الأموال تركزت عند هذه البطون فأرادوا السيطرة على التجارة كليا، على عكس بقية البطون التي كونت حلف الفضول والتي لا تستطيع الخروج بتجارة كبيرة وتستفيد من دخول هؤلاء التجار إلى مكة. [٣]

إذن لم تأت مكانة أُمّ سلمة من ناحية دخولها الإسلام فقط، بل من ناحية الإرث الاجتماعي الذي تنتمي إليه، فقد عاشت في عائلة امتازت بالغنى والنفوذ

---

١ - الواقدي، المغازي، ١\٩٠-٩١.

٢ -ابن هشام، السيرة، ١/١٣٣-١٣٤، والأحلاف هم بنو عبد الدار وبنو عدي وبنو سهم وبنو مخزوم وبنو أُمية.

٣ -واط، محمد في مكة، ص٣٩.

والمآثر في الجاهلية، إذ كان أبوها سيداً من سادات قريش وكبيراً من كبرائها وذا رأي ثاقب وقولٍ مسموعٍ في قريش، ويتضح هذا من خلال الرواية التي ذكرها ابن إسحاق عندما أعادت قريش بناء الكعبة ووصلت إلى المكان الذي يوضع فيه الحجر الأسود اختلفت فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وكاد القتال يقع بينهم حتى جاء أبو أُمية بن المغيرة فأشار عليهم برأي كان في حقيقته دالاً على حكمة كبيرة، إذ اقترح عليهم أنْ يحكِّموا فيما بينهم أول رجل يدخل عليهم من باب شيبة، فكان الداخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فرضوا به حكماً، وقضى بينهم بقضاء رائع وذلك بأنْ فرش رداءه ووضع الحجر الأسود عليه وطلب من كل قبيلة من قبائل قريش أنْ تأخذ طرفاً من أطراف الرداء وترفعه فوضع الحجر الأسود في مكانه بيديه الشريفتين.[١]

وهذا يبدد العجب في أن أُمّ سلمة (رضي الله عنها) كانت ذات رأي ثاقب وحكيم في معالجة الأُمور، إذ عرف عنها الحكمة والمقدرة على حل الكثير من الأُمور التي تعرض لها المسلمون في صدر الإسلام وهي تنتسب إلى أبي أُمية بن المغيرة.

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٢/ ١٦١-١٦٢.

أُسرة السيدة أُمّ سلمة (ولادتها ونشأتها)

تشير الروايات إلى أنّ أبا أُمية كوّن أُسرة كبيرة إذ تزوج من امرأتين وأنجب عدداً من الأبناء وهم هند (أُمّ سلمة) وزهير ومسعود (قتل ببدر كافراً) والمهاجر وكان اسمه الوليد فسماه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) المهاجر، وأبو ربيعة وهشام قتل يوم أُحد كافراً، وعبد الله أسلم، وأبو عبيدة وقريبة، وفي هذه الأُسرة نشأت أُمّ سلمة وأخذت منها خطواتها الأولى في حياتها وتعلمت الحكمة والرأي الراجح والمنطق السليم، ولم تخرج من بني مخزوم بل تزوجت فيهم أيضاً إذ تزوجت من ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد بن هلال لكنّ المصادر الأولية لا تذكر لنا متى تزوجت منه.

لذلك سوف نحاول أنْ نضع وقتاً تقريبياً لهذا الزواج، إذ يمكن القول إنّها ولدت قبل البعثة بعشر سنوات، أو قبل ذلك بقليل وذلك استناداً على الروايات التي ذكرت مقدار عمرها وسنة وفاتها، لكنّ هذه الروايات اختلفت

في السنة التي توفيت فيها، وهي على قسمين:

الأول: قال إنّها توفيت في سنة ٥٩ هـ[١].

الثاني: قال إنّها توفيت سنة ٦١هـ[٢].

لكنّ الأرجح أنّ وفاتها على القول الثاني، وهو الذي عليه إجماع المؤرخين، إذ إنّ الرأي الأول ذكره الواقدي فقط ونقل عنه الآخرون، بينما ارتبط الثاني بأحاديث مشهورة عن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد روى الترمذي أنّ إحدى النساء دخلت على أُمّ سلمة وهي تبكي فقالت لها: ((ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: مالك يا رسول الله؟، قال: شهدت قتل الحسين آنفاً))[٣]، كما فند ابن كثير رأي الواقدي في وقت وفاة أُمّ سلمة سنة ٥٩هـ، وذلك بقوله إنّ الواقدي يقول إنّ أبا هريرة صلى عليها بينما توفي أبو هريرة

---

١ ابن سعد، الطبقات، ٩٦/٨، ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٧٩/٧-٢٨٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠٣/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٤/٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٦٩/١.

٢ ابن حبيب، المحبر، ص٩٩، ابن حبان البستي، الثقات، ٤٣٩/٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧٠/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٤/٨-٢١٥، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨.

٣ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨.

قبلها[١]، وقال في السياق نفسه إنّ الأحاديث الواردة في استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) تدل على أنّ وفاتها كانت في حكم يزيد[٢]، كما ذكر ابن حبيب في المحبر، وابن حبان في الثقات أنّ وفاتها كانت في زمن يزيد بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)[٣]، واستدل الذهبي في تفنيده لرأي الواقدي على حديث ورد في صحيح مسلم فيه أن عبد الله بن صفوان دخل على أُمّ سلمة في عهد يزيد[٤]، بمعنى أنّها كانت حية عند استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، والأحاديث التي ذكرت أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطاها تربة من المكان الذي سيقتل فيه الإمام الحسين (عليه السلام)[٥]، تدل على أنّ وفاتها أعقبت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد جاء في الروايات أنّ أمّ سلمة علمت بمقتل الإمام (عليه السلام) قبل أن يصل الخبر إلى المدينة، وذلك لأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لها: ((إنّ جبريل أعلمني أنّ أُمَّتي تقتل

---

١ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/٢٤٦.

٢ البداية والنهاية، ٨/٢١٤-٢١٥.

٣ ص ٩٩، ٣/٤٣٩.

٤ سير أعلام النبلاء، ٢/٢١٠.

٥ ابن أبي الدنيا، الهواتف، ص ٨٧، الصدوق، الأمالي، ص٢٠٢، المفيد، الإرشاد، ص١٣٠، الطوسي، الخلاف، ص٢٣١.

الحسين، وأعطاني هذه التربة))، وقال لي: ((إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أنّ الحسين قد قتل))، وكانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دماً صاحت: واحسيناه، وابن رسول اللّه، وتصارخت النساء من كل ناحية...))[1].

إنّ ما تقدم يبين بما لا يقبل الشك أنّها توفيت بعد استشهاد الإمام (عليه السلام)، والذي يبدو أنّ الغرض الأساس من ذكر تاريخ وفاتها في سنة ٥٩ هـ دفع الروايات التي ذكرت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، من باب التعتيم على هذه النهضة وما يرتبط بها من تأسيس مبكر.

فإذا كانت وفاتها في سنة ٦١هـ عن عمر يناهز اربعة وثمانين عاماً[2]، تكون ولادتها قبل البعثة بعشر سنوات.

اما إسلامها فلم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً عنه، إذ لم يرد لها ذكر في قوائم المسلمين الأوائل، ولا نعرف عنها أيّ شيء حتى السنة الخامسة للبعثة، إذ تظهر لنا الروايات أُمّ سلمة وهي متزوجة من أبي سلمة

---

١ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/٢٤٥.

٢ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/٩٦.

ومهاجرة معه إلى الحبشة[١]، وعلى هذا يمكن القول إنّ أُمّ سلمة أسلمت عند زواجها، وكان لها من العمر أربعة عشر عاماً، إذ إنّ أبا سلمة أسلم مبكراً مع الأوائل من المسلمين[٢].

وعلى الرغم من أنّ ما توافر لنا من معلومات يجعلنا نؤكد أنّ إسلامها كان بعد زواجها من أبي سلمة، لكنّ هذا لا يعني أنّها لم تؤمن بما جاء به النبيُّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بل بالعكس يجعلنا نسأل عن السبب الذي أخر إسلامها إلى هذه السنة، وكما سبق القول إنّ أُمّ سلمة عاشت في ظل أُسرة كبيرة ولها مكانة في مكة قبل الإسلام، وظهر فيها عدد كبير من الرجال الذين أثروا في أحداث مكة قبل البعثة، وهؤلاء سعوا للوصول إلى المكانة التي وصل إليها بنو هاشم، بعد أن تمتعوا بالثراء الكبير فحاولوا مجاراة بني هاشم في العطاء والبذل، لكنّ كان هذا العطاء والبذل محدوداً في قريش فقط، أمّا في بقية أنحاء الجزيرة فلم يكن لهم أثر كما هو حال الهاشميين، فسعوا إلى امتلاك زمام التجارة في مكة وعقد صلات وثيقة مع بني هاشم، فتزوجوا اثنتين من بنات عبد المطلب كما زوجوا إحدى بناتهم

---

١ – ابن هشام، السيرة، ١ / ٢٥٦.

٢ –ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٧٦.

له، وأخذ هذا التنافس يزداد مع تضخم ثراء بني مخزوم وتراجع المستوى الاقتصادي لبني هاشم، حتى جاء الإسلام وظهر من يقول من بني هاشم إنّه نبيٌّ، فحقد بنو مخزوم على النبيِّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) والدعوة الإسلامية، لاسيما الأثرياء والمتنفذين منهم، ووقفوا ضدّها بكلِّ قوة، ويؤيد ما ذهبنا إليه قول أبي جهل (عمرو بن هشام المخزومي): (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاذبنا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، واللّه لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه)[1]. وفي رواية أُخرى أنّ أبا سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام جاءوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وهو يصلى لمدة ثلاث ليالٍ ثم تعاهدوا على أنْ لا يعودوا فذهب الأخنس بن شريق إلى أبي جهل فقال له: ((يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاذبنا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحي

---

١ -ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٤٨.

من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، قال: فقام الأخنس بن شريق وتركه))[١].

وهذا القول يبين حقيقة موقف بني مخزوم من الدعوة، فهم يعلمون أنّ ما جاء به النبيُّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حقٌّ وهو عندهم الصادق الأمين، فالوليد بن المغيرة عندما جاء موسم الحج وخافت قريش من مجيء العرب وسماعهم كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سألهم ماذا تقولون في محمد، فسألوه الرأي، فقال لهم: ما هو قولكم؟، فقالوا: ((نقول كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: نقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، قالوا: نقول: ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأيت السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟، قال: والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنّه باطل، وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته...))[٢]، فأنزل الله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً، وَبَنِينَ

---

١ -ابن هشام، السيرة، ١/٢٤٨.

٢ -المصدر نفسه، ١/٢١٠.

شُهُوداً، وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً، سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[1].

وهذا يبين أنّ الوليد بن المغيرة كان يعلم أنّ هذا الكلام ليس بكلام بشر، وإذا قرنا هذا مع ما عرفوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من صدق في القول وأمانة وكرم أخلاق وعلو في النسب لعرفنا أنّ حسدهم لبني هاشم منعهم من اتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي الآيات المتقدمة ما يدعم هذا الرأي.

وكانت أُسرة أُمّ سلمة قريبة من هذا الواقع أيضاً إذ لم يذكر اسم أحدهم في أوائل المسلمين، فلم تذكر المصادر التاريخية اسم أحد إخوتها ضمن أوائل المسلمين، وهم زهير بن أبي أُمية، ومسعود بن أبي أُمية، والوليد بن أبي أُمية (المهاجر)، وأبو ربيعة بن أبي أُمية، وهشام بن أبي أُمية، وعبد الله بن أبي أُمية، وأبو عبيدة ابن أبي أُمية، بل وردنا أنّهم كانوا من أعداء الدعوة،

---

١ -سورة المدثر، الآية ١١-٢٩.

فزهير ابن أبي أُمية وهو ابن عمة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أول من بادأ الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) العداوة مع أبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف والأسود بن عبد الأسد[1]، وكذا الحال مع عبد اللّه بن أُمية، إذ جاء في الرواية أنّ كبار قريش كالوليد بن المغيرة أبي جهل بن هشام وأبي سفيان بن حرب وشيبة وعتبة ابني ربيعة وغيرهم عرضوا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) عروضاً ليترك دعوته، أجابهم بالقول: ((ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ولا بُعثت إليكم بهذا ولكنّ اللّه بعثني بشيراً ونذيراً، فإنْ تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علَيَّ أصبر لأمر اللّه حتى يحكم اللّه بيني وبينكم))[2]، وكانوا يسألونه رفع الجبال وتفجير الأنهار في مكة أو إنزال العذاب عاجلاً لهم إن كان صادقاً، عندها قال له عبد اللّه بن أُمية: (يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أُموراً ليعرفوا بها

---

١ ابن إسحق، السير والمغازي، ص١٤٤، على الرغم من هذا العداء كان زهير من المساهمين في كسر المقاطعة التي فرضتها قريش على بني هاشم، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣

٢ –المصدر نفسه، ص١٩٩.

منزلتك من الله فلم تفعل، ثم إن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من الملائكة يشهدون أنّك كما تقول، وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنّي مصدقك)[١].

أما بقية إخوتها فمسعود قتل ببدر كافراً، كما قتل هشام يوم أُحد كافراً، ولم يذكر من بني مخزوم من المسلمين الأوائل سوى أبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وهاشم بن أبي حذيفة بن المغيرة وهبار وعبد الله ابني سفيان بن عبد الأسد، أما الباقون فالوليد بن الوليد أسلم بعد معركة بدر، وعياش ابن أبي ربيعة بن المغيرة وسلمة بن هشام ردهم خالد ابن الوليد عن المجيء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)بعد معركة بدر[٢]، وخالد بن الوليد لم يسلم إلا قبل فتح مكة بقليل[٣]، وعبد الله بن أبي أُمية أسلم بعد فتح مكة [٤]، وأسلم الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة عند فتح مكة[٥]، وأسلم عكرمة بن أبي جهل بعد فتح مكة، وكذلك المهاجر بن أبي أُمية[٦].

---

١ . ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٩٩.

٢ –ابن سعد ، الطبقات، ٤ /٣٨٣.

٣ . ابن سعد ، الطبقات، ٤ / ٤٤٦.

٤ . الطبري، تاريخ، ٣ / ٥٠ . ٥١.

٥ –ابن سعد ، الطبقات، ٨/٥١٧.

٦ –المصدر نفسه، ٨/٥١٨–٥٢١.

إسلام أُمّ سلمة والمعاناة التي تعرضت لها في مكة

وفي أُسرة كهذه كان من الصعوبة بمكان اعتناق الرجال للإسلام، وبنو مخزوم لم يكونوا أُناساً عاديين بل كانوا من أشد المعارضين للدعوة الإسلامية، فكيف الحال مع النساء، لذلك لا عجب أنْ لا نجد اسم أُمّ سلمة مع أوائل المسلمين، لكننا نجدها في السنة الخامسة مسلمة ومتزوجة من أبي سلمة كما قدمنا، وهذا يعني أنّها تزوجت منه بعد إسلامه وقبل الهجرة إلى الحبشة أي أنّها تزوجت قبل أنْ تبلغ الخامسة عشرة من عمرها وهذا أمر طبيعي في المناطق الحارة التي تبلغ فيها المرأة في وقت مبكر.

و على أية حال يمكن القول إنّ زواج أُمّ سلمة كان فيه شيء من المبادئ الروحية فقد كان بدافع روحي، إذ كان من أبناء عمومتها اعتنق الإسلام على عكس بقية أبناء عشيرته، الذين قادوا المعارضة للدعوة الإسلامية،

ومن خلال تتبع سيرة هذه المرأة يمكن أن نقول إنّها كانت من أوائل المؤمنين، إذ هجرت الأهل والوطن من أجل الإسلام.

لقد شهدت أُمّ سلمة ما شهده المسلمون من تعذيب واضطهاد بعد أنْ بدأ الصراع العلني بين الدعوة ومعارضيها، فقررت الهجرة مع زوجها إلى الحبشة المكان الآمن الذي اختاره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم للخلاص من العذاب الذي أذاقه لهم المشركون، بعد أنْ كثر أتباع الدعوة لا سيما من فئة الشباب، فاستشعر المشركون الخطر المحدق بهم، لا سيما بعد أن بدأت آيات القرآن الكريم تنتقد عبادات المشركين وما هم عليه من زيف وضلال عن طريق الحق[١].

فجاءت ردة فعل المشركين عنيفة جداً على من أسلم: (ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل الإسلام)[٢] ، ويعود السبب في ذلك أنّهم رؤوا في الإسلام تخلياً عن الشرك وعبادة الأصنام، الأمر الذي يعني تقويض الأُسس التي قامت عليها

---

١ -الملاح، الوسيط في السيرة، ص١٣٧.

٢ الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٢٨.

حياتهم الاقتصادية، ويدخل قريشاً في صراع مستمر مع القبائل العربية، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف وعن مخاوف المشركين بالقول: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾[1]، وذلك لأنّ هناك ارتباطاً بين النشاطات التجارية والأوضاع الدينية السائدة في مكة، زيادة على أنّ الإسلام جاء لينظم الحياة الاقتصادية، وجعل مقياس التفاضل الاجتماعي التقوى والعمل الصالح وليس النسب والثروة، وقد بيّن القرآن الكريم هذا الأمر: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[2]

كما شكلت الدعوة خطراً على مراكزهم القبلية، فهي تدعو إلى طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا يعد تهديداً لزعاماتهم القبلية في مكة، لذلك أبدوا امتعاضهم من نزولها على رجل ليس من الزعماء كما صور القرآن الكريم هذا الأمر بالقول: ﴿ وَإِذَا

---

١ - سورة القصص، الآية ٥٧.

٢ - سورة سبأ، الآية ٣٥-٣٧.

رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾[١]، ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٢]، **فكان بنو مخزوم من أشد المعارضين للدعوة وذلك تبعاً لما قدمناه من حسد لمكانة بني هاشم عند العرب، هذه العشيرة التي وقفت مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرغم من عدم دخول عدد كبير من أفرادها إلى الإسلام، تبعاً للنظام القبلي الذي يقضي بالتضامن بين أفراد العشيرة الواحدة في شتى الظروف والأحوال[٣].**

كان بنو مخزوم يرون أنّ الإسلام يتعارض مع مصالحهم، وهم يسعون إلى الوصول لزعامة قريش، بعد أن وصلوا إلى قمة الثراء في مكة وأصبحوا من زعاماتها البارزة، لذلك تزعموا معارضة الدعوة بعد أنْ يئسوا من ثني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عزمه وعدم خضوع أبي طالب لتهديداتهم، وحمايته للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أنْ سمع رده على عروض قريش: ((يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري،

---

١ – سورة الفرقان، الآية ٤١.

٢ –سورة الزخرف، الآية ٣١.

٣ _ الملاح، الوسيط، ص١٢٥_ ١٢٧.

ما تركت الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك في طلبه))[١]، فكان رُدّ المشركين على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتجريده من أتباعه في محاولة للقضاء على الدعوة الإسلامية: (ثم إنّ قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين اسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم)[٢]، وكان دور بني مخزوم مهماً في هذا الأمر فكان أبو جهل (إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك، ولنفيلن رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به))[٣].

هذا الوضع هو ما كان سائداً في مكة قبل الهجرة، وهكذا كان حال أبي جهل وعتاة قريش مع المسلمين، فكيف هو الحال مع أبناء عمومتهم الذين دخلوا إلى الإسلام، لذلك فكر أبو سلمة وزوجته أُمّ سلمة بالخروج من مكة إلى أرض آمنة، وذلك بعدما اشتد ضغط قريش

---

١ - ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٣٥-١٣٦.

٢ - المصدر نفسه، ص١٢٩.

٣ -ابن هشام، السيرة، ١/٣٤٢.

على المسلمين، ورأى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمّه أبي طالب وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء قال لهم:لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يظلم أحداً وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام)).[١]

---

١ -ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٧٤.

الهجرة إلى الحبشة

في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة، خرج مجموعة من المسلمين مهاجرين إلى الحبشة وكان أبو سلمة وزوجته من بين هؤلاء المهاجرين، فيما عرف في التاريخ باسم الهجرة الأُولى، إلاّ أنّهم عادوا بعد ثلاثة أشهر من خروجهم، عندما وصلهم خبر إسلام أهل مكة، وبعد رجوعهم تبين لهم كذب هذا الأمر (فلم يدخل أحد منهم إلاّ مستخفياً أو بجوار أحد)[1] ، وذلك لأنّ هجرتهم كان معناها انتهاء العقد القبلي مع عشائرهم، كما أنّهم لم يتمكنوا من العودة إلى الحبشة، فدخل أبو سلمة بجوار خاله أبي طالب[2]، واستطاع حمايته من بني مخزوم قبل الهجرة إلى الحبشة، عندما وثبت قبائل قريش تعذب أبناءها لجأ إلى خاله أبي طالب، فمشى إليه رجال من بني مخزوم وقالوا له: (يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك

---

١ ابن هشام، السيرة، ١ / ٣٦٤ - ٣٦٩.

٢ - ابن إسحاق، السيرة والمغازي، ص١٧٨.

محمداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا، قال: إنّه استجار بي وهو ابن أُختي، وإن أنا لم أمنع ابن أُختي لم أمنع ابن أخي، فارتفعت أصواتهم وصوته فقام أبو لهب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها، فقال: يا معشر قريش واللّه لقد أكثرتم على هذا الشيخ، لا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه، أما واللّه لتنتهين عنه أو لنقومن معه فيما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، فقالوا: ننصرف عما تكره يا أبا عتبة)[1].

لكن العودة إلى مكة لم تكن آمنة إذ وجدوا قومهم مصرين على فتنتهم مأذن لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بالعودة إلى الحبشة، وكانت أخبار النجاشي وحسن جواره للمهاجرين قد وصلت إلى المسلمين الذين يتعرضون للعذاب[2]، وفي هذه المرة خرج قسم كبير من المسلمين، وعاد معهم أبو سلمة وزوجته [3]، أملاً منهم في أن يعبدوا اللّه من دون ضغوط لكنّ هذه المرة لم تكن كالسابقة، لأنّ قريشاً ضايقتهم كثيراً ووصلوا بصعوبة بالغة إلى أرض الحبشة.

---

١ – ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٩١، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٤ / ٣١.

٢ – ابن سعد، الطبقات، ١/ ٩٩.

٣ – المصدر نفسه، ٣/ ١٢٧.

وعندما وصلوا إلى هناك كانت أرض الحبشة كما وصفها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرض صدق، ووجدوا خير جار لهم وهو ملكها النجاشي النصراني، وقد وصفت السيدة أُمّ سلمة الأمر أفضل وصف: (آمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا بينهم أنْ يبعثوا إلى النجاشي رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا ممّا يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم)، وأرسلت قريش إلى النجاشي عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص مع الهدايا إلى البطارقة من أجل معاونتهم أمام الملك وشرحوا للنجاشي أمر المهاجرين فأمر بإحضارهم، وجعل المهاجرون جعفراً هو المتكلم عنهم، فأجاد جعفر في تقديم حجج المسلمين للملك، وقرأ عليه صدر سورة ((كهيعص))، فبكى النجاشي والأساقفة حتى اخضلوا لحاهم ومصاحفهم، فقال لهم النجاشي: (إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون). لكنّ عمرو بن العاص لم يرق له الأمر فحاول أنْ يقضي عليهم نهائياً بعد أن فشل في إرجاعهم إلى قريش، فدبر خطة محكمة من أجل الإيقاع بهم عند النجاشي، وذلك من خلال إخباره

بعقيدة الإسلام في عيسى (عليه السلام): (والله لأتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم)، فلامه عبد الله بن أبي ربيعة على الأمر، وذكره بأنّ لهؤلاء قرابة ورحماً معه، لكنّه أبى ذلك وأصر على هلاكهم، وبالفعل أخبر النجاشي بأنّهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل لهم النجاشي ليسألهم عن قولهم، كما جاءت الرواية عن أُمّ سلمة: (فأرسل إليهم ليسألهم عنه ولم ينزل بنا مثلها قط)، واجتمعوا ليعرفوا ماذا يقولون، فاتفقوا على كلام الله، وكان المتكلم جعفراً فقال: (هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمة ألقاها إلى مريم العذراء البتول)، عند ذلك اقتنع النجاشي بدينهم، وأعطاهم الأمان في بلاده ووضع غرامات على من يمس هؤلاء المهاجرين[١].

وهذا يعني أنّ المسلمين في الحبشة عاشوا آمنين بعد أن هيأ الله لهم هذا المكان والملك العادل، فمارسوا طقوسهم بحرية ومن دون مضايقة من أحد، لكنّ لم تذكر لنا الروايات كيفية معيشتهم وصور حياتهم هناك، لكنّ الذي لا شك فيه أنّ أُمّ سلمة وزوجها عاشوا هناك بحرية.

---

١ - ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

أبناء أُمّ سلمة

جاء في الروايات أنّ أُمّ سلمة أنجبت أربعة أبناء سلمة وعمر ودرة وزينب[1]، لكنّ هذه الروايات لا تذكر لنا ترتيب ولادتهم ومكان ولادتهم وإن أجمعت أغلبها على أنّ سلمة كان أكبر أولادها وزينب آخرهم[2]، وهذا الأمر يجعلنا لا نعرف متى ولد هؤلاء الأبناء، لكنّ سنحاول مع البحث تحديد ولادتهم.

إنّ هذا الأمر طبيعي في تاريخ المسلمين لأنّ هناك فراغات كثيرة تجعل أحداث التاريخ غامضة بعض

---

١ -ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٢٦٠، ابن سعد، الطبقات، ٨، ٨٦-٨٧، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٣٧، الطبري، تاريخ، ٣/١٦٤، ابن حزم، جمهرة، ص١٤٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/١٠٢، الذهبي، سير أعلام، ٢/٢٠٦.

٢ -أبو عبيدة، تسمية أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ص٢٨-٢٩، ابن سعد، الطبقات، ٨/٩١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/٦٤١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٤٢، ابن حجر، الإصابة، ٨/٢٢٣.

الشيء، فبعد أنْ عرفنا هجرة أُمّ سلمة إلى الحبشة، تعود المصادر لتصمت مرة أُخرى عن المهاجرين إلى الحبشة، فلا نعرف متى عادت أُمّ سلمة إلى مكة وسبب عودتها مع توفر الأمان الكامل هناك، فالروايات ذكرت هجرة أُمّ سلمة وزوجها إلى الحبشة من دون تفاصيل أُخرى، ثم ذكرت هجرتها مع أحد أولادها، وتظهر أبا سلمة أول مهاجر إلى المدينة.

ومن خلال المعلومات التاريخية المتيسرة سوف نحاول إيجاد قرائن لسدِّ هذه الثغرات، ربما نستطيع القول إنّ أُمّ سلمة وزوجها عادا إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية، وذلك بعد أنْ سمعوا ببيعة العقبة الأُولى، وحصول المسلمين على مكان آمن للهجرة، وذلك لأنّهم كانوا راغبين في أنْ يعيشوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، لكنّ بعد عودتهم جوبهوا باضطهاد شديد من بني مخزوم، فذكر ابن إسحاق أنّ أبا سلمة عندما عاد إلى مكة آذته قريش كثيراً، فطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإذن بالهجرة وذلك قبل بيعة العقبة الثانية بسنة أي في السنة الحادية عشرة للبعثة[1]، وهذا يعني أنّ المدة بين مجيئه

---

١ ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ١٦٩.

إلى مكة وبين هجرته إلى المدينة كانت قصيرة جداً، فهو لا يستطيع العودة إلا بوجود حامٍ له في مكة، وقد رأينا أنّ أبا طالب كان قد حماه في عودته الأولى، أما في هذه العودة لم يجد من يحميه لأنّ أبا طالب توفي السنة العاشرة للبعثة، وليس باستطاعة شخص آخر حمايته، وربّما لم يكن يعلم بوفاته عندما قرر العودة إلى مكة، لذلك كان أول مهاجر إلى المدينة.

أما أولاده فهناك تناقض في تواريخ ولاداتهم، فذكرت بعض المصادر أنّ أُمّ سلمة ولدت ابنها عمر في الحبشة[١]، بينما ذكر الواقدي أنّها أنجبت ابنتها زينب هناك[٢]، وذكرت مصادر أُخرى أنّها أنجبت ابنها سلمة في الحبشة[٣]، وذهبت أُخرى إلى أنّها أنجبت جميع أبنائها قبل الهجرة إلى المدينة[٤].

ولو تفحصنا هذه الروايات نجد أنّها أنجبت سلمة في الحبشة، لأنّه أكبر أبنائها وهو الذي رجعت به إلى مكة وليس عمر، لأنّ أغلب الروايات متفقة على أنّ

---

١ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٦٤١، ابن حبان، الثقات، ٣/ ٢٦٣، القرطبي، التفسير، ٣/ ٧٨.

٢ ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٨٧، ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ١٣١-١٣٢.

٣ ابن حجر، الإصابة، ٨/ ٢٢٢.

٤ . ابن حبيب، المحبر، ص٨٤.

عمر كان سنه عند وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)تسع سنوات[١]، وعلى هذا تكون ولادته في السنة الثانية للهجرة، كذلك فإنّ الروايات ذكرت أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)عندما أراد الزواج من أُمّ سلمة عقدها عليه سلمة بن أبي سلمة على الرغم من صغر سنه[٢]، وإن كانت هناك روايات أُخرى ذكرت أنّ عمر هو الذي زوجها لكنّ هذه الروايات لا يمكن الأخذ بها، لأنّ عمر كان عمره سنتين، بينما كان عمر سلمة إحدى عشرة سنة، لأنّه ولد في الحبشة كما قدمنا في السنة الخامسة أو السنة السادسة للبعثة، ويعزز هذه الآراء ما ذكرته الروايات التي تبين عودة أبي سلمة إلى مكة، ومضايقة المشركين له وطلبه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الهجرة إلى المدينة هو وزوجته وابنه سلمة ومنع بني المغيرة أُمّ سلمة من الهجرة، وأخذ بني عبد الأسد ابن هلال لابنها سلمة، كذلك هناك رواية تدل على ذلك، مفادها أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زوج عمارة بنت حمزة لسلمة بن أبي سلمة وقال له عند تزويجه لها: (هل جزيت يا سلمة؟) أي بتزويجي أُمّك[٣].

١ -ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/٦٤١ .

٢ -ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/٢٠١.

٣ -ابن حبيب، المحبر، ص١٠٧.

الهجرة إلى المدينة

كما قدمنا فإنّ أبا سلمة حاول أنْ يأخذ أُسرته معه إلى المدينة، إلاّ أنّ بني المغيرة أدركوه في الطريق ومعه ابنه سلمة وزوجته وقالوا له: (هذه نفسك غلبتنا علينا، أرأيت صاحبتك هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد)[١]، فأخذوا منه أُمّ سلمة وابنها، لكنّ بني عبد الأسد غضبوا لهذا الأمر، وتنازعوا على سلمة وأخذ كلٌّ منهم يسحبه من يد حتى خلعوا يده وأخذوه منها، فبقي سلمة عند بني عبد الأسد، وبقيت أُمّ سلمة عند بني المغيرة، وأبو سلمة هاجر إلى المدينة[٢].

واصل أبو سلمة هجرته إلى المدينة وكان أول مهاجر يدخلها، ونزل عند بني عمرو بن عوف من الأوس[٣]، في بيت مبشر بن عبد المنذر في منطقة قباء[٤]،

---

١ - ابن هشام، السيرة، ٢ /٥٧.

٢ -ابن هشام، السيرة، ٢ /٥٧.

٣ -ابن هشام، السيرة، ٢ /٥٧، ابن سعد، الطبقات، ٣ /١٢٨.

٤ -ابن سعد، الطبقات، ٢ /١٢٨.

وهو أحد المسلمين الأوائل من الأنصار، وذلك قبل قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[١]، والذي يبدو أنّ مبشر اسلم بدعوة مصعب بن عمير حينما أرسله النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة ليعلم أهلها تعاليم الإسلام[٢]، بعد أنْ بدأ الإسلام ينتشر بين الأنصار من الأوس والخزرج، وبالفعل دخل قسم من بني عمرو بن عوف إلى الإسلام، وكان من بين الذين بايعوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيعة العقبة الثانية أخوه رفاعة بن عبد المنذر[٣]، وقد توثقت علاقات أبي سلمة بهم حتى أنّ ابنه عمر بن أبي سلمة تزوج من مليكة بنت رفاعة بن عبد المنذر[٤]، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد آخا بين أبي سلمة وبين سعد بن خثيمة[٥]، الذي عده ابن إسحاق من بني عمرو بن عوف، لكنّه في الحقيقة كان من بني غنم بن أسلم، لكنّ الذي يبدو أنّه كان حليفاً لهم، وتزوج ابنه عبد الله من بني عمرو بن عوف[٦].

---

١ -المصدر نفسه، ٣/ ٢٤٠.
٢ ابن هشام، السيرة، ٢/ ٣١.
٣ -المصدر نفسه، ٢/ ٤٨.
٤ -ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٢٤١.
٥ -ابن سعد، الطبقات، ٤/ ٢٥٢.
٦ -ابن هشام، السيرة، ٢/ ٤٧، ابن سعد، الطبقات، ٤/ ٢٥٢.

أما أُمّ سلمة فقد بقيت في مكة بعد أن تفرقت أسرتها، فكانت تخرج كلّ يوم إلى بطحاء مكة تبكي حتى رحمها أحد بني المغيرة، وقال لهم: (إلاّ تخرجوا هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها)، عند ذلك سمحوا لها باللحاق بزوجها ورد بنو عبد الأسد عليها ابنها، فركبت بعيرها ووضعت ابنها في حجرها وتوجهت إلى المدينة تريد زوجها وحدها ليس معها أحد، وفي طريقها صادفت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار فسألها عن وجهتها، فأخبرته أنّها تريد المدينة، وليس معها أحد إلاّ الله وابنها فلم يتركها، وأخذ بخطام بعيرها وسار بها حتى وصل إلى المدينة ودلّها على مكان زوجها ورجع إلى مكة، فكانت أُمّ سلمة تقول فيه: (ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنّه أكرم منه كان إذا بلغ بي المنزل أناخ بي، ثم استأخر عنّي، حتى إذا نزلت، استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده إلى شجرة، ثم تنحى عنّي إلى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه ورحله، ثم استأخر عنّي، وقال: اركبي فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ خطامه فقاده، حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو ابن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية فادخليها

على بركة اللّه ثم انصرف راجعاً إلى مكة)[1].

وبذلك اجتمعت أُمّ سلمة مع زوجها وابنها وفي هذا دلالة واضحة على أنّها لم يكن لها من الأبناء سوى سلمة، كما تبين لنا مدى المعاناة التي تعرضت لها هذه الأُسرة في سبيل الإسلام، فقد هاجرت للّه ثلاث هجرات اثنتان منها إلى الحبشة وواحدة إلى المدينة، تاركة الأهل والديار متحملة صعوبات جمّة وهي تخترق الصحارى لتصل إلى تريد الوصول إليه وهو دولة الإسلام دولة اللّه في الأرض، ولو قسمنا عمر أُمّ سلمة لوجدنا أنّ عمرها في الهجرتين إلى الحبشة لا يتجاوز السادسة عشرة، وفي الهجرة إلى المدينة لم يتجاوز عمرها اثنين وعشرين عاماً، وهذا يجعلنا أمام مواقف تستحق الإعجاب والفخر على هذا المستوى من الإصرار والتمسك بالدين، فما الذي دفعها إلى أنْ تأخذ ابنها لوحدها قاطعة مئات الكيلومترات إلى مدينة يثرب، إنّه الإيمان باللّه وتصديق رسوله، إذ لم تقتنع بالمعتقدات الجاهلية التي كانت سائدة في مكة، راغبة في التغيير الذي جاء به الإسلام وهي وزوجها لم يكونا من الناس البسطاء المستضعفين أو من العبيد، بل كانا من بني مخزوم الأثرياء المتنفذين

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٢/ ٥٧.

ذوي المكانة الاجتماعية المعروفة، لكنّ هذا كلّه لم يقنعهم ورغبوا في الدعوة الجديدة التي تدعو إلى صناعة مجتمع مثالي، بعد أنْ يقوم بثورة التغيير على الواقع السائد، مع معرفتهم بصعوبة الأمر وما ستنتجه الدعوة الجديدة من صِدام عنيف مع المشركين، لا سيما وأنّها تهدد الأُسس التي قام عليها المجتمع الجاهلي والمرتبطة بعقيدة الشرك الذي يمد جذوره إلى النواحي الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فوقفت هذه القلة التي تكونت من العبيد والمستضعفين والنساء والحلفاء وأبناء الأُسر الثرية المتنفذة في وجه هذا النظام السائد في مكة، والذي لا يقبل أيّ تغيير في قيمه التي نشأ عليها فكانت النتائج غير مضمونة، والأحداث لا تشير إلى أنّ الثورة سوف تنجح ورد الفعل كان عنيفاً من قبل المشركين ابتدأ بالتعذيب والمقاطعة وانتهى بالخروج الإجباري من مكة، ولم يريدوا بعد ذلك إلاّ ما وعدهم ربُّهم الذي آمنوا به وهي الدار الآمنة التي يمارسون طقوسهم فيها بأمان واطمئنان من دون خوف وتحقيق ما أرادوه من انتشار الإسلام وإنشاء دولة الحق.

موطن العائلة الجديد (حياتهم في المدينة)

استقرت العائلة في موطنها الجديد وتتابع المهاجرون للمدينة التي بايعت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد أنْ شجعهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للذهاب إليها، وهم بين من هاجر جهاراً نهاراً وبين من هاجر سراً خوفاً من قريش، ومنهم من ترك زوجته لبقائها على الشرك، وغيرهم هاجر بهم جميعاً، ومنهم من حبس ولم يستطع الهجرة فبقي متمسكاً بدينه، أو فتن عنه وافتتن ورجع إلى الشرك، فتركوا أموالهم وبيوتهم أمانة لمن يقرب لهم من قريش لكنّ هذه الأمانة لم تحفظ فتصرف هؤلاء بالأموال والأمانات وباعوها وصادروا كلّ ما كان لهم في مكة.

وبعدها هاجر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى المدينة ووصل إلى أصحابه وهم منتظرون لوصوله مع من أسلم من الأوس والخزرج، فنزل بقرية بقباء التي كان قد نزل فيها أبو سلمة وأهله عند

بني عمرو بن عوف الأوسيين[١]، ثم ارتحل إلى المدينة فسارعت القبائل إلى استقباله وهي تتنافس فيما بينها على نزول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)عندها، فاختار أنْ تبرك الناقة ليكون مكان نزوله وبناء المسجد، ونزل في بيت أبي أيوب الأنصاري حتى يكتمل البناء.

ثم ابتدأ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتنظيم دولته الجديدة وتنظيم أُمورها الإدارية والاقتصادية والسياسية، فجمع السلطات كلّها بيديه وحلّ مشكلة المهاجرين بأنْ آخا بين كل واحد منهم مع أحد الأنصار ليعوضهم عما فقدوه من أموال في مكة، ثم وضع دستور الدولة الجديدة المتمثل بوثيقة المدينة، فكانت دولة ـ مدينة يقف على رأسها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فتآخا أبو سلمة مع سعد بن خثيمة[٢]، وبقي في بني عمرو بن عوف في قرية قباء التي تقع في جنوب المدينة، وعاشت أُمّ سلمة مع زوجها وابنها في ظل دولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان زوجها من الرجال الذين اعتمد عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أُمور الدولة الجديدة لاسيما حمايتها

---

١ ـ ابن هشام، السيرة، ٢ / ٧٧ ـ ٨٠.

٢ ـ المصدر نفسه، ٢ / ٧٨.

وحماية ما حققته من مكاسب، وبعد أنْ تحولت سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى استخدام القوة، بعد أنْ كانت تستند على عدم استخدامها في مكة، نتيجة لضعف إمكانات المسلمين، تغير الموقف وأصبح من الممكن مقارعة قريش ومن يفكر في الاعتداء على الدولة الجديدة، من أجل استعادة حقوق المهاجرين التي صودرت في مكة، وكانت إحدى هذه الحملات ما أُطلق عليه (غزوة العشيرة) في السنة الثانية للهجرة، والتي تهدف إلى اعتراض قافلة لقريش متوجهة إلى الشام اخترقت حدود دولة المدينة[1]، فكان من الطبيعي أنْ يستخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً مكانه في المدينة يدير شؤونها حتى يعود إليها فكان اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه المرة قد وقع على أبي سلمة بن عبد الأسد، وفي هذا دلالة على ثقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) به لكي يخلفه في مكانه دون غيره.

---

١ . ابن هشام السيرة، ٢/ ١٧٤ . ١٧٥.

مشاركة العائلة في معارك الإسلام

لم يتخلف أبو سلمة عن معارك الإسلام المصيرية، لاسيما معركة بدر الكبرى، التي كان سببها اختراق قافلة قرشية راجعة من الشام لحدود دولة المدينة تحمل كمية كبيرة من الأموال، فرأى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها فرصة مناسبة لتأديب قريش ومنعها من التعدي على سيادة دولة المدينة، وتعويض المهاجرين من الأموال التي صادرتها قريش، فخرج مع مجموعة من المسلمين إلى آبار بدر من أجل هذا الأمر لكنّ القافلة استطاعت الخلاص وخرجت قريش للدفاع عن أموالها وسمعت في طريقها إلى بدر بنجاة القافلة، لكنّها لم ترجع وأصرّت على القتال والقضاء على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ودولته[١]، فكان أبو سلمة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المعركة[٢]،

---

١ ـ المصدر نفسه، ٢ / ١٩٢ ـ ١٩٣.

٢ ـ المصدر نفسه، ٢ / ٢٤٧.

يدافع عن الإسلام وعن دولته الجديدة وانتهت المعركة بانتصار المسلمين ودخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون معه وهم يشعرون بنصر الله سبحانه وتعالى في أول معركة حقيقية ثبتت الإسلام ودولته الوليدة، وكانت نقطه التغيير في تاريخ الدعوة.

وقد أخذت هذه المعركة من قريش مأخذاً كبيراً، وقريش هذه كانت الأهل والعشيرة، فالذين أخذتهم الحرب لم يكونوا سوى الإخوة وأبناء العمومة، فقد قتل في هذه المعركة من أبناء عمومتهم أبو جهل بن هشام وأخوه العاص بن هشام، وأبو قيس بن الوليد ابن المغيرة، والفاكه بن المغيرة، والأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة، ومسعود بن أبي أُمية أخو أُمّ سلمة[1]، فامتزجت فرحة النصر بمشاعر الحزن على من قتل من الإخوة وأبناء العم، لكنّ هذا الحزن لا يعني أنّهم متأسفون على نصر الله تعالى الذي أرادوه وجاهدوا وتركوا ديارهم وأهلهم من أجله، بل كان حزنهم لأنّ هؤلاء لم يدخلوا الإسلام ولم يبصروا ما أبصره من امن بالله ورسوله ورضي بالإسلام ديناً وبمحمد نبياً.

ولم يكن الأمر مقتصراً على من قتل من بني

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٢ / ٢٧٠-٢٧١.

مخزوم بل أسفرت المعركة عن أسر مجموعة أُخرى من قريش، كان من بينها ثمانية من بني مخزوم، فيهم خالد بن هشام بن المغيرة وأُمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وغيرهم[1]، وجاء إلى المدينة من يفديهم من بني مخزوم من المشركين وكان من بين هؤلاء الذين حصلوا على الفداء الوليد بن الوليد، إذ أتاه إخوة خالد بن الوليد وبعد أنْ وصل إلى مكة عاد إلى المدينة مسلماً فسأله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)عن أبناء عمه عياش بن أبي ربيعة وسلمة ابن هشام، فأخبره أنّهما محبوسان في مكة، فأمره بالذهاب إلى هناك لتخليصهما، وبالفعل استطاع ذلك وجاء بهما إلى المدينة، وعندما وصلوا إليها عثر فانقطع إصبعه فقال:

هل أنت إلاّ إصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

و بعدها ببرهة توفي في المدينة، فقالت أُمّ سلمة وهي ترثيه:

يا عين فابكي للوليد   ابن الوليد بن المغيـــرة

مثل الوليد بن الوليد   أبي الوليد فتى العشيرة

فقال لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

١ -المصدر نفسه، ٣/٦.

لا تقولي هذا يا أُمّ سلمة ولكن قولي: ((وجاءت سكرة الموت))، واستأذنت أُمّ سلمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبكاء على ابن عمها فسمح لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[١]، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنّ هؤلاء أرادوا من أهلهم الدخول في هذا الدين العظيم، وبكوا حزناً على ما فاتهم من توفيق الله ودخول الإيمان إلى قلوبهم.

ثم استمرت المعركة المصيرية بين الحق والباطل وعادت قريش تريد استعادة ما فقدته في معركة بدر فخرج للدفاع عن مدينتهم، وكان أبو سلمة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المعركة، التي استطاع المشركون أنْ يحققوا انتصاراً على المسلمين فيها نتيجة عدم التزامهم بوصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانت النتيجة قاسية على المسلمين، إذ خسروا حمزة بن عبد المطلب وجرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجرح أبو سلمة في هذه المعركة، جرحه أبو أُسامة الجشمي في عضده وظل شهراً يداويه حتى برأ منه [٢]، لكنّ هذه الجراحة لم تشف بالكامل،

١ -البلاذري، انساب، الأشراف، ١/٢٠٩-٢١٠.

٢ - الواقدي، المغازي ١/، ٣١٢ابن سعد، الطبقات، ٣ / ١٢٨،، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٤٢٩.

إذ أثرت فيه ومات منها وعد من شهداء أُحد، كما جرح أَحد المشركين وهو شماس بن عثمان المخزومي وكان به رمق فحمل إلى المدينة، فأُدخل على عائشة لكنّ أُمّ سلمة اعترضت على الأمر بالقول: (ابن عمي يدخل على غيري)، فأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحمله إلى أُمّ سلمة وبقي عندها حتى مات[1]، وهذا يدلل على العاطفة الإنسانية التي تحملها هذه المرأة تجاه أقاربها، وعلى سماحة الإسلام وعطفه حتى على المشركين.

لكنّ جرح أبي سلمة الذي تحدثنا عنه لم يعيقه عن الجهاد، بل بالعكس بقي مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في جهاده حتى توفي، وكان بيته في بني أُمية بن زيد في المنطقة المسماة بالعلية، والتي تقع إلى جهة الشمال الشرقي من قرية قباء حيث منازل بني عمرو بن عوف التي نزل فيها أول مجيئه من مكة[2]، وهو يعالج جرحه فسمع بخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حملة حمراء الأسد بعد بقائه خمسة أيام عقب انتهاء معركة أُحد، فنادى في صلاة الصبح للذهاب وراء العدو وكان عامة المسلمين تعاني من الجروح من

---

١ -الواقدي، المغازي، ١/ ٣٤٠.

٢ -الواقدي، المغازي، ١/ ٣٤٠.

جراء المعركة لكنّهم استجابوا للرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم). فكان أُسيد بن حضير به سبعة جروح لكنه عندما سمع منادي الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، قال: (سمعاً وطاعة للّه ورسوله)، ولم يعد لمداواة جروحه، وأبو سلمة أيضاً كان يعاني من جرحه لكنّه عندما سمع بخروج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أدركه وكان معه [١]، والذي يبدو من هذه الحملة أنّ الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أراد إيصال رسالة لقريش مفادها بأنّ المسلمين لم تنتهِ قوتهم بعد خسارة معركة أُحد، كذلك القضاء على فتنة المنافقين في المدينة، والتي أرادت من خلالها زعزعة الوضع داخلها، وإفهام القبائل البدوية التي تسكن بجوار المدينة وتحاول استغلال الوضع القائم بعد هذه الخسارة بأنّ الدولة الوليدة لا تزال محتفظة بقوتها، وقادرة على الردِّ في أي وقت، ثم عاد الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إلى المدينة من دون قتال.

---

١ -المصدر نفسه، ١/ ٣٤٠-٣٤٤.

استشهاد أبي سلمة

بقي أبو سلمة يداوي جرحه حتى ظن أنّه برأ، عندها دعاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمره أنْ يأخذ سرية جهزها إلى جهة بني أسد، وكان فيها مئة وخمسون من الصحابة، وكان سبب هذه السرية أنّ طلحة بن خويلد الأسدي وأخاه قررا الهجوم على المدينة بعد خسارة المسلمين في معركة أُحد، وأعدوا لذلك أنفسهم وكان رأيهم أنْ يغيروا على أطراف المدينة حيث ترعى إبل وأغنام أهل المدينة، لكنّ هذه الأخبار وصلت إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أنْ يتحركوا عن طريق أحد الأشخاص من قبيلة طيء الذي كان صهراً لأحد أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل علية ضيفاً وأخبره خبر بني أسد، فأمره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يرتحل مع السرية ليكون دليلاً لها، وأمرهم أنْ يفاجئوهم قبل أنْ يجمعوا قوتهم، فوصلت السرية إلى ماء بني أسد يدعى قطن

والذي سميت السرية به فوجدوا بعض الرعاة ومعهم إبل وغنم لبني أسد فأخذوا منهم ثلاثة واستولوا على ما عندهم وهرب الباقون إلى ديارهم، وحذروا بني أسد من سرية أبي سلمة فتوزع أصحاب أبي سلمة في المكان يطلبون الشاء والإبل، ثم عادوا بما حصلوا عليه ورجعوا إلى المدينة بعد أنْ قسم أبو سلمة بينهم غنائم السرية، لكنّ الأمر لم يدم طويلاً مع أبي سلمة فما لبث أنْ انتفض عليه جرحه فمات على إثر ذلك وعُدَّ من شهداء أُحد[1]، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكبر عليه تسع تكبيرات فقيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسهوت أَمّ نسيت؟ قال ((لم أسه ولم أنسَ ولو كبّرت على أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك)) ودعا لأبي سلمة بخلفه [2]، وكان لأبي سلمة زيادة على الصحبة والمواقف المشهودة قرابة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان ابن عمته برة بنت عبد المطلب، وأخوه من الرضاعة[3].

لقد شعر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه فقد أحد أصحابه الذين عاصروا دعوته منذ البداية ومن

---

١ -الواقدي، المغازي، ١/٣٤٠ -٣٤٤.

٢ -الطبري، تاريخ، ٢/٢١٣.

٣ -المصدر نفسه، ٣/١٦٤.

المؤمنين الخلص، الذين عرفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهنا لا بد من أنْ يجد لعائلته ما يخفف عنها ألم الفراق، ويزيح عن كاهلها عبء العيش وتربية الصغار، فما كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أن شرفها بزواجه منها، وجعلها أُمّاً للمؤمنين فأيُّ مكافأة وأيُّ مثوبة أكبر من هذا.

وكان أبو سلمة عندما أدركته الوفاة طلب من أُمّ سلمة أن تتزوج بعده، لكنّها كانت قد سمعت حديثاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنّه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج إلاّ جمع الله بينهما في الجنة))، ولم يكن عندها أدنى شك في أنّ أبا سلمة من أهل الجنة، وهي تأمل أنْ تجتمع معه في تلك الدار التي أسرع إليها بشهادته، لكنّ أبا سلمة كان يأمل أنْ تعيش أُمّ سلمة وأولادها حياتها الطبيعية ويتربي أولاده في كنف رجل يحميهم ويعيلهم ويعلمهم فقال لها: (أتطيعني، قالت: نعم، قال: إذا مت تزوجي)، هكذا كان أبو سلمة يحب زوجته، ثم دعا لها وهو متوجه إلى ربه بدم الشهادة وقال: (اللهم ارزق أُمّ سلمة بعدي رجلاً خيراً منّي لا يحزنها ولا يؤذيها)، وأم

سلمة تسأل نفسها وتقول: (من خير من أبي سلمة)[١]، ولم يدر في خلدها أنّ الذي يريد الزواج بها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنّ الله استجاب لدعاء أبي سلمة فيها ورزقها خيراً منه سيد الكائنات.

لكنّ فراق أبي سلمة لم يكن بالأمر الهيّن إذ كان فراقه صعباً عليها فأخذت تتألم للفراق، وصادف دخول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أبي سلمة ليراه قبل موته، فقال: ((لا تدعون على أنفسكم إلاّ بخير فإنّ الملائكة تحضر الميت فيؤمنون على دعائهم فلا تدعون على أنفسكم إلا بخير))، ودعى له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اللهم افسح له في قبره وأضئ له فيه وعظم نوره واغفر ذنبه اللهم اغفر ذنبه اللهم ارفع درجته في المهديين واخلفه في تركته في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين))[٢]،

وكان أبو سلمة قد سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((إنّ العبد إذا أصابته مصيبة ففزع إلى ما أمر الله به من قول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي هذه وأبدلني بها ما هو خير

---

١ -ابن سعد، الطبقات، ٨/٨٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/٩١.

٢ -ابن سعد، الطبقات، ٣/٢٤١.

منها)) وأخبر بها زوجته، فلما احتضر أبو سلمة قال اللهم اخلفني في أهلي بخير، فلما قبض قالت أُمّ سلمة: (إنا للّه وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فأجرني فيها وأردت أنْ أقول وأبدلني بها خيراً منها فقلت من خير من أبي سلمة)[١]، ثم أخذت أُمّ سلمة تذهب إلى المكان الذي دفن فيه شهداء أُحد فتدعو لهم وتسلم عليهم ومعها غلام لها يدعى نبهان، وكان يعجب من كلامها معهم وسلامها عليهم فقالت له: (واللّه لا يسلم عليهم أَحد إلاّ ردوا إلى يوم القيامة)[٢].

وكلُّ ما تقدم يدل على مدى وفاء هذه المرأة وإيمانها وصلابتها، فهي مستعدة أنْ تضحي بكلِّ ما تملك من أجله، وهذه هي المرأة التي صنعها الإسلام بعد أن استوعبته وتشرب بها فأصبح سلوكاً ومنهجاً، فنجدها عاملة ومجاهدة ومربية وفقيهة.

---

١ -ابن سعد الطبقات ٢/٤٢، القرطبي، التفسير، ٢/١٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/٩٠-٩١.

٢ -الواقدي، المغازي، ١/٣١٤.

خطبتها وزواجها من الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

بقيت أُمّ سلمة ترعى أبناءها وتقوم على تربيتهم، وعندها سلمة وعمر وكانت تحمل زينب في بطنها فوضعتها بعد وفاة أبي سلمة [١]، وهذا يعني أنّها كانت آخر أبناء أبي سلمة ولادة عكس الروايات التي ذكرت ولادتها في الحبشة، ويؤيد ذلك ما جاء في رواية عمار ابن ياسر التي تتحدث عن زواج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) من أُمّ سلمة، إذ ذكر فيها أنّها كانت ترضع زينب[٢]، أما درة التي ذكرتها المصادر التاريخية وقالت ليس لها عقب[٣]، فلا وجود لها في الأحداث التاريخية، ولم تذكر المصادر تاريخ ولادتها أو أيّ معلومات عنها، وربّما لم تكن موجودة أصلاً، واسمها قد ورد خطأً في المصادر، إذ إنّ الروايات ذكرت أنّ زينب بنت أبي سلمة

١ -ابن سعد، الطبقات، ٨/٩٣.

٢ - أبو عبيدة، تسمية أزواج النبي، ص٢٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٢٠٦.

٣ - مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٣٨.

كان اسمها برة فسماها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب[1]، لأنّه نهى عن هذا الاسم، وقال: ((لا تزكوا أنفسكم فالله أعلم بأهل البر منكم))[2] ، وهذا الأمر يدعو إلى الاعتقاد أنّ درة هي زينب نفسها، وهو تصحيف لاسم برة الذي كان اسماً لزينب أول ولادتها، ويؤكد هذا الاعتقاد عدم ورود أيّ روايات عنها، كما أنّ هناك رواية أوردتها بعض المصادر عن ابن إسحاق تحدثت عن محاورة دارت بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجته أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان، حول عرض الأخيرة عليه الزواج من أُختها ورفضه للأمر، فردت عليه بالقول: ((فوالله لقد أنبئت أنّك تخطب درة ابنة أبي سلمة، فقال لها: فوالله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنّها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأباها ثويبة))[3]، وهذا يؤيد الرأي المتقدم بأنّ درة هي زينب نفسها، لا سيما أنّ ابن سعد ذكر أنّ أُمّ سلمة أنجبت لأبي سلمة: (سلمة وعمر ودرة بني أبي سلمة)[4]، ولم يذكر زينب وهذا يدعم رأينا.

---

١ ـ ابن الأثير، أسد الغابة، ٧ / ١٣٠.

٢ ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٤٦١.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات، ١ / ١١٠، ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف، ٣ / ٢٨٧، الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣ / ٢٢٣، النسائي، سنن النسائي، ٣ / ٢٩٠.

٤ ـ ابن سعد الطبقات، ٨ / ٨٧.

حياتها في بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع أزواجه

عندما خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أُمّ سلمة كان لديه ثلاثُ من أزواجه، وهن سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب[١]، فأما سودة بنت زمعة فقد توفي زوجها وبقيت أرملة وهي طاعنة في السن، تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا رغبة في نفسه بل رحمة منه بها بعد أنْ فقدت زوجها المسلم ومن أجل إعطائها أملاً في الحياة وهو تشريف لها بالزواج منه[٢]، أما حفصة فقد توفي زوجها أيضاً وحاول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تعويضها عن فقدان زوجها بمواساتها والزواج بها، بعد أنْ رفض أبو بكر وعثمان الزواج بها، وتأثر عمر لهذا الموقف، لاسيما أنّ العرب اعتادت على

---

١ -الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ١٦/١٠٠.

٢ . ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٢٦٨ . ٢٦٩.

عدم ترك بناتهم بغير زواج، وعائشة تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد معركة بدر[١]، أما أُمّ سلمة فنرى أنّ الحال كان مختلفاً معها فلم تكن بالمرأة الطاعنة بالسن، إذ إنّ عمرها عند زواجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان سبعاً وعشرين سنة، وكانت جميلة ومقبولة من الجميع والدليل على ذلك خطبتها من قبل الصحابة، فورد في الروايات أنّ أبا بكر وعمر خطباها لكنها رفضت الأمر[٢]، يزاد على ذلك أنّها من قبيلة مميزة جداً عند العرب فهي من بني مخزوم كما هو معروف، ولها قرابة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا يعني أنّ سبب زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منها لم يكن كسابقاتها لكبر السن أو للمواساة.

لقد كانت أُمّ سلمة شابة تمتلك صفات تؤهلها للزواج، وكانت غريبة في مجتمع المدينة ليس معها من أهلها أو أبناء عمومتها أَحد، لذلك لابد أنْ يكون لها زوج، يرعاها ويرعى أبناءها، وهي لم تتصور أنّ هناك شخصاً يمكن أن يعوضها عن أبي سلمة، أو يستطيع أن يشغل مكانة في قلبها كما كان يشغلها زوجها، ويتضح هذا

---

١ . ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٢٧١.

٢ -ابن سعد، الطبقات، ٨/٨٩، ابن حجر، الإصابة، ٨/٢٢٣.

من خلال تعهدها له بعدم الزواج بعده[١]، وهذه صورة من صور الوفاء الذي لا يمكن أنْ نجده إلاّ عند هكذا نساء دخل إلى قلوبهن الإيمان بالله ورسوله فامتزج مع ما حملته من خلق رفيع ومكانة اجتماعية راقية ونشأة متحضرة، فأصبح هذا المزيج سلوكاً وعملاً انعكس أثره على المواقف المتوازنة والحكيمة التي كانت تجسدها هذه المرأة في حياتها مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)وبعد وفاته، وبقاؤها ملتزمة بخط واحد حتى وفاتها.

من كلِّ ما تقدم يمكن القول إنّ هذه المرأة كان لها ميزة خاصة، ومن المعروف أَنّ أي امرأة لم تدخل إلى قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأخذ المكان الذي شغلته السيدة خديجة (عليها السلام)، لكنّ أُمّ سلمة كانت امرأة عاقلة وسيدة قوية ومجاهدة وحكيمة، وهي زوجة أبي سلمة الشهيد الذي جاد بنفسه من أجل دولة الإسلام، وهو في آخر لحظات حياته يطلب منها أنْ تتزوج بعده، ويدعو ربه أن يرزقها من هو خير منه، فكيف يكون جزاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له وكيف يكافؤه على ما قدمه للإسلام في أهله،

---

١ . ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٢٨٨.

فهل يزوج أُمّ سلمة لرجل من المسلمين، الجواب يمكن معرفته من خلال رفضها للزواج بأحد بعد أبي سلمة، هل يتركها مع أبنائها تتحمل مشقة الحياة وعناء التربية وشظف العيش وغياب الأب لوحدها، والدولة الوليدة مسؤولة عنها وعن أولاد الشهيد، ويجب أن تكون مستعدة لرعايتهم والاهتمام بهم، فما هو الحل؟ إنّ أنسب الحلول كان زواجها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لا يمكن أنْ ترفضه، كذلك فإنّ هناك الكثير من الشهداء الذين تركوا نساءهم وأولادهم من الأنصار أو من غيرهم، لكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتزوج نساءهم، والسبب في ذلك أنّ هناك لهؤلاء أهلاً في المدينة، ومن الممكن أنْ يتزوجن، وهذا الحال لا يشمل أُمّ سلمة الغريبة في المدينة، فأوجب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على نفسه الزواج منها.

وقد أفادت المصادر التاريخية أنّها ترددت عندما خطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنّ هذا التردد ليس اعتراضاً على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل كان لأسباب ذكرتها: (إنّي امرأة غيرى وإنّي مصبية وأنّه ليس أحد من أوليائي شاهد، فبعث لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أمّا قولك

إنّي مصبية فإنّ اللّه سيكفيك صبيانك وأما قولك إنّي غيرى فسأدعو اللّه أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني))[١]، إنّ هذه الروايات تؤيد ما ذكرناه من آراء في أسباب اعتراض أُمّ سلمة، والتي تتلخص في أنّها كانت خائفة من اللّه تعالى لأنّها تحمل صفة الغيرة، والرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) متزوج من عدة نساء، كذلك فإنّها ذات عيال وهم صغار ويحتاجون إلى عناية، زيادة على غياب الأهل في مكة، فأجابها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بأنّه سوف يتوجه إلى ربّه ليذهب عنها الغيرة، والعيال سوف يكونون مع أسرة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، وهو الذي يتولى مسؤولية تربيتهم، ويتضح هذا من قوله لها: ((وأما ما تذكرين من العيال، فمن ترك مالا فلورثته ومن ترك ديناً أو عيالاً فعلى اللّه ورسوله))[٢]، أما الأهل فعلى الرغم من بقائهم في مكة فلا أحد يستطيع الاعتراض على محمد (صلى اللّه عليه

---

١ -ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٦٠، أبو عبيدة، تسمية أزواج النبي، ص٢٧-٢٨، ابن سعد، الطبقات، ٨/٢٩٠، البلاذري، أنساب الإشراف، ١/٤٣١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٤٠-٤١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٢٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/٩٠، ابن حجر، الإصابة، ٨/٢٢٣.

٢ -ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢٦٠.

وآله وسلم) سواء أكان محمد الهاشمي، أُمّ محمد الصادق الأمين، أُمّ محمد الإنسان، أو حتى محمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رغم اختلافهم معه.

وهناك روايات ذكرت أنّها اعتذرت بكبر السن[١]، على اعتبار أنّها أنجبت عيالاً ومرّ على زواجها مدة طويلة، لكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لها إنّه أسن منها[٢]، وتذكر الروايات أنّ عمر بن الخطاب كان وسيطاً في هذه الخطبة، وهو الذي أتاها واعترض على قولها: (أنت التي تردين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما تردين فقالت: يا بن الخطاب لي كذا وكذا وذكرت ترددها)[٣]، عند ذلك ذهب إليها بنفسه ليجيبها عن أسئلتها، وقد تحدثت هي عن الأمر: (عندما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله فكلمني بيني وبينه حجاب فخطب إليّ نفسي، فقلت: أي رسول الله وما تريد إليّ ما أقول هذا إلاّ رغبة لك من نفسي، فقلت: إنّي امرأة قد أدبر سني، وأنّي...)[٤].

---

١ ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٠.

٢ البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٤٣١.

٣ ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص٦٢.

٤ أبو عبيدة، تسمية أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص٢٨، ابن سعد، الطبقات، ٨/٨٩، ابن كثير، البداية والنهاية،

وعند ذلك طلب منها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الزواج بعد أنْ أجابها على أسئلتها، وقال لها: ((يزوجك ابنك، ويشهد لك رجال))[١] ، وذكرت بعض المصادر أنّ ابنها عمر هو الذي زوجها[٢]، لكنّ هذه الروايات مردودة، وذلك لأنّ الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) تزوج من أُمّ سلمة في السنة الثالثة للهجرة حسب بعض المصادر[٣]، أو السنة الرابعة بحسب مصادر أُخرى، وأيّاً كان وقت الزواج فإنّ عمر بن أبي سلمة لم يكن عمره يتعدى السنتين أو الثلاث، أما سلمة فقد كان عمره يقارب العشر سنوات، وعليه يمكن أن يلي عقد الزواج، كما يؤيد هذا ما ذكرته بعض المصادر من أنّه هو الذي تولى أمر الزواج[٤]، زيادة على الرواية التي أوردناها

٤/ ٩٠، ابن حجر، الإصابة، ٨/ ٢٢٣.

١ ذكر أبو عبيدة أنّ الزواج تم في السنة الثانية للهجرة ص٢٧، الطبري، تاريخ، ٣/ ١٦٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/ ١٠٠.

٢ ابن سعد، الطبقات، ٣/ ٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٠٣.

٣ ابن حبان، الثقات، ٣/ ٢٦٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٦٤١.

٤ ابن سعد، الطبقات، ٣ / ٨، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢ / ٦٤١.

فيما سبق التي ذكرت تزويج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عمارة بنت حمزة لسلمة بن أبي سلمة وقوله له: ((هل جزيت يا سلمة))[١].

وبذلك قبلت أُمّ سلمة الزواج من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأصدقها حسب ما ذكرت المصادر فراشاً حشوه ليف وقدحاً وصفحة ومحشة [٢]، وفي رواية أُخرى أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أهدى للنجاشي ملك الحبشة هدية لكنّ وفاته أدت إلى أنْ تعود الهدية إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعطاها إلى أُمّ سلمة[٣]، وقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقدر أُمّ سلمة كثيراً لذلك قال لها: ((إنّه ليس لك على أهلك هوان فإنْ شئت ثلثت لك أو خمست أو سبعت، فإني لم أسبع لامرأة من نسائي قط))، لكنّ أُمّ سلمة لم تكن أنانية بل كانت امرأة حكيمة

---

١ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٢٦٠، ابن سعد، الطبقات، ٣ / ٢٩، ابن حبيب، المحبر، ص١٠٧، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢ / ٦٤١.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٨٩، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص١٦٠، المقدسي، البدء والتاريخ، ٥ / ١٣.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات، ٨ / ٩٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢ / ٢٠٩.

فقالت له: ((اصنع يا رسول الله ما شئت فإنّما أنا امرأة من نسائك))[١]، وبذلك انتقلت أُمّ سلمة إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصبحت من أزواجه، وأصبحت أُمّاً للمؤمنين، فالتقى ما حملته من إيمان مع صاحب الدعوة ونبيِّ الله فارتقت مراتب عدة في سلم الإيمان، فما كان منها إلاّ أن أخرجت لنا تلك المواقف التي يحق لنا أنْ نفخر بها.

إلاّ أنّ هذه المرأة لم تسلم من غيرة نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو أمر طبيعي جداً، بعدّهن بشراً لهن عواطف، وطبيعة المرأة حرصها على زوجها وعدم مشاركتها به من أيِّ امرأة أُخرى، وهذا الحال مع الإنسان العادي فكيف الحال مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لقد كن يشعرن بالفخر لزواجهن بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الطبيعي أنْ يحرصن عليه، لذلك كانت أُمّ سلمة بمثابة تهديد لمكانتهن، لاسيما أنّها جميلة جداً[٢]، وهنا تخبرنا عائشة بنت أبي بكر، أنّها حزنت حزناً شديداً عندما تزوج رسول الله (صلى الله عليه

---

١ -ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٢٦، ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٩٠، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٣١.

٢ ـ الكليني، الكافي، ٥ / ١١٧، الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

وآله وسلم) من أُمّ سلمة وذلك لجمالها، وذهبت إليها لتراها فقالت: (فتلطفت لها حتى رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي من الحسن والجمال)[١]، فذكرت ما شاهدته لحفصة بنت عمر وهي زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت في صفها دائماً ضدَّ أُمّ سلمة وباقي نساء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكنّ أُمّ سلمة لم تنجر وراء الأُمور التي لا تليق بمكانتها ولا العقل المتوازن الذي امتازت به، والذي أهلها لتتبوأ مكانة عالية عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، وكانت على الدوام أحد عناصر الحكمة في صدر الإسلام.

إلاّ أنّ عائشة وحفصة أصرتا على الوقوف بجانب واحد ضدّ أُمّ سلمة، فعندما علمت حفصة من عائشة مدى جمال أُمّ سلمة ذهبت إليها أيضاً، فلما رأتها قالت: (قد رأيتها لا والله ما هي كما يقولون ولا قريب وإنّها لجميلة)[٢]، ويبدو أنّ الخلافات بين عائشة وحفصة من جهة وام سلمة من جهة أُخرى بحيث ذكرت في القرآن الكريم، فروي عن عائشة أنّها قالت: إنّ أُمّ سلمة كانت تخرج عسلاً إذا أتاها رسول الله (صلى الله عليه وآله

١ -ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٩٤.

٢ -المصدر نفسه، ٨/ ٩٤.

وسلم) ليأكل منه وكان يحبه، فقالت لحفصة إنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يأتي أُمّ سلمة في غير يومها فيمكث عندها، فاتفقتا على أمر من أجل إبعاد الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) عنها، فقالت عائشة لحفصة: (إذا دنا منك فقولي له أرى نحلة جرس وعرفطاً)، فلما دخل على عائشة قالت له: (إنّي أجد منك شيئاً ما أصبته! قال: عسلاً، فقالت أرى نحلة جرس العرفط)، فخرج من عندها وأتى حفصة، فقالت له مثل ذلك، فاشتد على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الأمر، ودخل على أُمّ سلمة فأخرجت له العسل، فقال: ((لا حاجة لي فيه)) وحرمه على نفسه، فقالت عائشة لحفصة ما أرانا إلاّ قد منعنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) شيئاً يشتهيه[1]، فنزلت الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وهذا الأمر يعني أنّ حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) العائلية كان يشوبها الكثير من الخلافات التي تقع بين أزواجه بدافع الغيرة، فإذا عرفنا أنّهنّ نساء كباقي النساء توصلنا إلى القول إنّ هذه الأُمور طبيعية

---

١ -البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٢٥.

٢ - سورة التحريم، الآية ١.

لكنّ الأمر الذي يمكن لقارئ سيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يتوقعه هو أنّ من يدخل إلى المدرسة الأخلاقية العظيمة المتمثلة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الذي يصفه الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، يجب أنْ يتأثر بهذه المدرسة ويتخلق بأخلاقها، وهي التي دخلها الآلاف من المهاجرين والأنصار فتخرجوا منها دعاة للإسلام كراماً متحابين ناكرين لذاتهم بل شهداء لمبادئ هذه المدرسة، فكيف من يكون في داخل هذه المدرسة، ونحن هنا لا ندعي أنّ الإنسان نتيجة للاحتكاك والمعايشة يستطيع أنْ يتخلى عن عواطفه الإنسانية المشتملة على الأنانية والغيرة والحسد، لكنّ كنا نتوقع أنْ نجد نفوساً عالية لا تعادي، وإنّما تأخذ من هذه المدرسة الشيء اليسير وترتقي إلى مستوى أرفع من الذي ذكرناه، لكنّ على أي حال لا يمكن أنْ نضع أنفسنا حكاماً على التاريخ، ونحاول أنْ نعطي تقييمات قد لا تكون دقيقة، وهذا ما يدعونا إلى عدم طرح الآراء التي قد تبدو متحيزة إلى جانبٍ ما وذلك تبعاً للتعصب لموضوع البحث.

والذي يبدو من خلال البحث أنّ أُمّ سلمة لم تكن

---

١ ـ سورة القلم، الآية ٤.

مثل باقي نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كنّ يتحاكمن إليها لعلمهن ببراءتها من الغيرة[١]، ومن خلال دراسة سيرة أُمّ سلمة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبله وبعده، نجدها قد أخذت من مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشيء الكثير، فتذكر الروايات أنّها في أحد الأيام سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول على المنبر: ((يا أيها الناس))، فقالت لماشطتها: (لفي رأسي، قالت: فديتك إنّما يقول يا أيها الناس، فقالت أُمّ سلمة: ويحك أولسنا من الناس؟ فلفت رأسها وقامت في حجرتها فسمعته يقول...)[٢]، لذلك يجدر بنا أنْ نقف إجلالاً وإكباراً لهكذا امرأة استطاعت أنْ تحفر لها اسماً في تاريخ الدعوة الإسلامية وصدر الإسلام بمواقفها المتوازنة والمستقرة، والإيمان الكبير الذي حملته، وقد أوردنا شأن نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) معها لكنّ لم تسمع منها شيئاً مماثلاً بل إنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل في كتابه ما يدفع عنها غيرة أولئك النسوة، فقد ذكرت المصادر التاريخية، أنّ عائشة وحفصة كنّ يسخرن من

---

١ -الذهبي، شذرات الذهب، ١/ ٧٠.

٢ . مسلم، الجامع الصحيح، ٧ / ٦٧، ابن حنبل، مسند أحمد، ٦ / ٢٩٧ .

أُمّ سلمة وذلك لأنّها ربطت وسطها بحبل أبيض يتدلى منه طرفٌ، فقالت عائشة لحفصه: (انظري إلى ما تجر خلفها كأنّه لسان كلب)[١]، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢]، وبقيت عائشة تدفعها الغيرة من أُمّ سلمة فقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً وكان عند أُمّ سلمة: (ما تصنع بأُمّ سلمة؟ وقد نزلت بعدوتين، أحدهم عافية لم ترع والأُخرى قد رُعيت في أيهما كنت ترعى)[٣]، ويبدو أنّ هذا الأمر ابتلى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كباقي المسلمين وهو غيرة النساء من بعضهن، فما كان منه إلاّ أنْ يمضي في حياته بصورة طبيعية وهو يؤسس النظام السياسي للدولة الإسلامية وأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والقضائية، ويباشر

---

١ -القرطبي، التفسير، ١٦/٣٢٦، الواحدي، أسباب النزول، ص٤١٦.

٢ . سورة الحجرات، الآية ١، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥ / ١٤، الطبرسي، مجمع البيان، ٩ / ٢٢٤.

٣ -البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤١٣.

عمله مربياً وواعظاً وهادياً وبشيراً.

وفي كلّ هذا لا نجد في روايات التاريخ ما يشير إلى أنّ أُمّ سلمة كانت ترد عليهن أو تقابلهن بالمثل، وهي بذلك كانت كل يوم ترتقي مرتبة في مراتب الرقي الأخلاقي ومراتب الإيمان، فكانت تقترب في كلّ موقف من هذه المواقف من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، لذلك سنحاول أنْ نسلط الضوء على أثرها في معارك المسلمين الأولى، إذ نراها في الكثير من هذه المعارك ترافق الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وكأنّها لصيقة به، وكان يختارها لتكون رفيقته من بين أزواجه.

مشاركة أُمّ سلمة في معركة الخندق

كانت أُمُّ سلمة في هذه المعركة مع الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في قبته مقابل الخندق الذي حفره المسلمون، عندما عرفوا نية قريش مهاجمة المدينة مع من حالفها من قبائل العرب واليهود، وكان هذا الحصار يشكل تهديداً حقيقياً للدولة الإسلامية الوليدة فقد تعاونت الأطراف المتضررة من أجل القضاء على الإسلام ودولته، فوضع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) خطه الدفاع عن المدينة، وأشار عليه سلمان الفارسي أنْ يحفر خندقاً من أجل زيادة تحصين المدينة.

وعندما اكتمل حفر الخندق كانت أُمّ سلمة مع الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ولم تفارقه حتى نهاية المعركة وهي تراه في حرارة الجو يقوم للصلاة مع أتباعه ويشاركهم حفر الخندق ويشرف على الحراسة والمراقبة، وفي كلِّ هذا كانت أُمّ سلمة معه[1].

---

١ - الواقدي، المغازي، ٢/٤٧٧.

وتروي لنا أُمّ سلمة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يراقب تحركات المشركين حول الخندق وهو يحرسه، فعند ذلك نادى عباد بن بشير أحد الأنصار وأمره بأنْ يأخذ مجموعة معه لمراقبة أبي سفيان بن حرب الذي كان يحاول اختراق الخندق والعبور إلى المدينة فجابههم عباد وأصحابه ورموهم بالنبال والحجارة حتى رجعوا إلى معسكرهم، وكانت أُمّ سلمة مع المسلمين ترمي بالحجارة، ثم رجعت إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدته يصلي فأخبرته بالأمر عند فراغه من الصلاة.[١]

يمكن لمن يتصفح أحداث معركة الخندق أنْ يعرف بما لا يقبل الشك أنّ المرأة المسلمة قد ذابت وانصهرت بالإسلام، فكانت لا تبالي بالحياة وأصبح همها الشاغل هو الآخرة وقيام الدولة الإلهية في الأرض، فلم تكن الراحة والدعة هي همها بمقدار ما كان همها مشاركة الرجل بالبناء، وكانت أُمّ سلمة إحدى هؤلاء النساء إذ لم تكتف بتربيه أبنائها ولم يكفها ما عانته من هجراتها السابقة أو ما قدمته للإسلام المتمثل باستشهاد زوجها، ولم يكفها زواجها من رسول الله (صلى الله عليه

١ -المصدر نفسه، ٢/ ٤٦٤.

وآله وسلم) وسهرها على راحته وتوفير ما تستطيعه من عوامل الاستقرار في بيتها بل أرادت أنْ تشارك في الجهاد والذب عن الدين، وهي تسأل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم): (يا رسول اللّه لا أسمع اللّه ذكر النساء في الهجرة بشيء)[١]**، فأنزل اللّه تعالى:** ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٢]**، وهي تطلب ما حصل عليه زوجها من قبل: (لا نستشهد ولا نقاتل ولا نقطع الميراث...)**[٣]**، فأجابها اللّه تعالى من عليائه بما قدمناه من آيات، وهذا نموذج آخر ليس على شجاعة هذه المرأة وقوة شخصيتها فحسب بل على عقلها الراجح ورأيها المميز، فهي تجلس مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وتترقب معه المعركة وتدافع عن المدينة مع المسلمين.**

---

١ -العجاب في بيان الأسباب، ٢/٨١٧.

٢ -سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

٣ - الطبري، جامع البيان، ٤ / ٢٨٤، الطبرسي، مجمع البيان، ٢ / ٤٧٧، ٣ / ٧٣.

موقف أُمّ سلمة في صلح الحديبية

بعد سنة من معركة الخندق خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه (معتمراً لا يريد حرباً) ساق معه سبعين بدنة لنحرها عند المسجد الحرام[١]، لكنّ قريشاً منعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يدخل مكة وذلك لأنّها كانت تخشى أنْ تقول العرب: إنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد دخل مكة عنوة[٢]، وكانت مستعدة للحرب لكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتجنب القتال مع قريش، لذلك غير المسار الذي سار فيه لتجنب الاصطدام بقريش حتى وصل إلى منطقة الحديبية، وقال لأصحابه: ((لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم إياها))[٣]،

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٣/ ٢٦٤.

٢ -المصدر نفسه، ٣ / ٢٦٧.

٣ -المصدر نفسه، ٣ / ٢٦٥.

وأخذ رسول الله يرسل موفدين عنه من أجل السماح له بدخول مكة، فأرسل أولاً خراش بن أُمية الخزاعي إلى قريش ليبلغهم بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأرادت قريش قتله لكنّ الأحابيش الساكنين حول مكة منعوه منهم وأطلقوا سراحه، فعاد إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ إنّ قريشاً بعثت مجموعة من الرجال للطواف بعسكر المسلمين، واستطاع المسلمون الإمساك ببعضهم فعفى عنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلى سبيلهم[١].

وفي النهاية خضعت قريش للمفاوضات بعد أنْ تبدل موقف خزاعة والأحابيش، إذ إنّ الجليس بن علقمة سيد الأحابيش حينما ذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعاد إلى قريش أخبرهم بما رأى: (يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له والذي نفس الجليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد.. فقالوا له: مه كف عنا يا جليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به)[٢].

وبعد هذا أخذت قريش ترسل المفاوضين من أجل

---

١ -الواقدي، المغازي، ٢/٦٠٤.

٢ -الواقدي، المغازي، ٢/ ٣١٢.

حلّ المسألة، فأرسلت بديل بن ورقاء الخزاعي، وأرسل النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن عفان إلى مكة مع عشرة من الصحابة، لكنّ عثمان ورفاقه تأخروا في مكة، فبايع المسلمون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بيعة الرضوان التي كانت تعني البيعة على الموت[1]، لكنّ قريشاً أرسلت سهيل بن عمرو من أجل مفاوضة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعاد عثمان وأصحابه وجرى الصلح بين الطرفين وكان كاتبَ الصلح الإمام علي (عليه السلام)، فأمره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يكتب ((بسم الله الرحمن الرحيم)) فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. ثم اتفقا على أنْ تكون هدنة لمدة عشر سنوات، وإذا أتى أحد من قريش مسلماً رده إليهم، وإذا أتى أحد من المسلمين مرتداً إلى قريش لا يردوه، وللقبائل العربية الحرية في الدخول في عهد محمد أو مع قريش، وعلى محمد وأصحابه أنْ يرجعوا هذا العام ويعود العام المقبل من أجل أداء العمرة[2].

---

١ -الواقدي، المغازي، ٢/ ٦٠٢- ٦٠٣.

٢ -المصدر نفسه، ٢ /٣١٧- ٣١٨.

لكنّ هذا الأمر لم يرق للكثير من المسلمين الذين عبروا عن عدم رضاهم بالتنازلات التي قدمت في هذا الصلح، والتي تشمل ردّ من يأتي من قريش مسلماً ومحو صفة الرسالة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيرها، وكان زعيم هذا الاعتراض عمر بن الخطاب الذي استطاع أنْ يؤثر في الصحابة حتى أنّهم لم يمتثلوا لأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنحر ويمكن أنْ نحصر اعتراضاته بالرواية الآتية وهي قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: ((قوموا فانحروا واحلقوا)) فلم يجبه رجل إلى ذلك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات، كلُّ ذلك يأمرهم فلم يقبل واحد منهم ذلك فانصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخل على أُمّ سلمة زوجته مغضباً شديد الغضب)، فجاء عمر بن الخطاب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له: (يا رسول الله: ألست برسول الله قال: ((بلى))، قال: أولسنا بالمسلمين، قال: ((بلى))، قال: أوليسوا المشركين قال: بلى، فعلام نعطي الدنية في ديننا: قال: ((أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني))[1].

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٣ / ٢٧١.

وهنا جاء موقف أُمّ سلمة المتميز والدال على عقلها الراجح، فلما رأته غاضباً سألته عن السبب، فقال لها: ((عجباً)) يا أُمّ سلمة إنّي قلت للناس انحروا واحلقوا مراراً فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي))[١]. فقالت أُمّ سلمة: (يا رسول اللّه انطلق أنت إلى هديك فانحره فإنّهم سيقتدون بك)[٢]، فلقي هذا الرأي قبولاً عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، واستحسنه فخرج وهو يمسك حربة بيده لينحر هدية، فتقول أُمّ سلمة: (فكأنّي أنظر إليه حين يهوي بالحربة على البدنة رافعاً صوته ((بسم اللّه واللّه أكبر)) قالت: فما هو إلاّ أن رأوه نحر فتواثبوا إلى الهدي فازدحموا عليه حتى خشيت أن يغم بعضهم بعضاً)[٣]، ثم حلق رأسه ورمى بشعره على شجرة كانت إلى جانبه، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتخاصمون فيه[٤]، ونتيجة لهذا الأمر قام المسلمون بالنحر والحلق وانتهت المشكلة[٥].

---

١ -ابن حجر، الإصابة، ٨ / ٢٢٤.

٢ - الطبري، جامع البيان، ٢ / ٣٠٤، ابن حجر، الإصابة، ٨/ ٢٢٤.

٣ -الواقدي، المغازي، ٢/ ٦١٣.

٤ -المصدر نفسه، ٢/ ٦١٣-٦١٥.

٥ -المصدر نفسه، ٢ / ٦١٥.

لقد كان المستاؤون من الصلح يرون فيه تنازلاً مهيناً[١]، قدمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للمشركين، وهذا دليل على ضيق أُفقهم وعدم تقديرهم للأُمور زيادة على عدم التزامهم بأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي مخالفة صريحة لأوامر الله تعالى القاضية باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم الاعتراض عليه، وهو من يمتلك التوفيق الإلهي والقدرة على تمييز الأُمور فهو القائد البعيد النظر البصير بعاقبة الأُمور، وهذا الأمر لا يدركه إلاّ من يؤمن إيماناً مطلقاً بصواب النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤيد من الله تعالى وهو يقول: ((أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني))[٢]، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾[٣]، وهو الفتح الكبير في الإسلام الذي قال عنه أبو بكر بن أبي قحافة: (ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكنّ الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون)[٤]، وقال عنه محمد

---

١ -صالح العلي، الدولة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص ٢٥٥ .

٢ -ابن هشام، السيرة، ٣ / ٢٧١.

٣ -سورة الفتح، الآية ١.

٤ -الواقدي، المغازي، ٢ / ٦٠٩ - ٦١٠.

بن مسلم بن شهاب الزهري: (فما فتح في الإسلام فتح قلبه كان أعظم منه)[١]، وبالفعل كانت الأُمور تسير وفق ما أراده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفتحت مكة وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية نتيجة لهذا الصلح، فكان موقف أُمّ سلمة موافقاً لرأي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على عكس موقف الصحابة، وهذا الأمر يقودنا إلى القول إنّه نتج عن الإيمان العميق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعقلها الراجح الذي ميز كلّ موافقها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٣ / ٢٧٥.

مشاركة أُمّ سلمة في معركة خيبر

استمر حضور أُمّ سلمة في معارك المسلمين وجهادهم ضدّ الشرك والمتحالفين معه، فخرجت مع عشرين امرأة من نساء المسلمين إلى خيبر التي توجه إليها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بعد صلح الحديبية في السنة السابعة للهجرة، من أجل معاقبة يهود خيبر الذين تآمروا مع بني النضير بعد أن لجأوا إليهم، وعملوا من هناك من أجل إسقاط دولة المسلمين في المدينة، وكان لهم أثر في تجميع الأحزاب التي حاصرت المدينة، كما أنّهم فكروا بغزو المدينة بعد طرد يهود بني قريظة من المدينة[١].

وكانت أُمّ سلمة مع النساء لها مهام في هذه الغزوة عبرت عنها إحدى نساء الأنصار بقولها للرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم): (أخرج معك في وجهك

---

١ – ابن سعد، الطبقات، ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

هذا أُخرز السقاء وأداوي المرضى والجرحى إنْ كانت جراح وأنظر الرحل)، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اخرجي على بركة الله فإنّ لك صواحب قد كلمني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فإن شئت فمع قومك، وإن شئت فمعنا))، قلت: معك، قال: ((فكوني مع أُمّ سلمة زوجتي))[1]، وهذا دليل على أنّ نساء المسلمين كان لهن أثر كبير في الإسلام إذ يتشاركن مع الرجال في حماية الدولة الإسلامية، وكانت أُمّ سلمة مثل سائر النساء تشارك في البناء والجهاد، فلا عجب أنْ نجدها ترافق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في معاركه، وفي كلّ معركة تطالعنا بموقف ينمُّ عن شخصيتها المتوازنة البعيدة عن غيرة النساء والمعبرة عن المستوى العالي من الانسجام مع التربية الإسلامية الذي وصلته هذه المرأة، فبعد أن أُسرت صفية بنت حيي بن أخطب في معركة خيبر ودخلت إلى الإسلام وتزوجت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم دخلت في بيت أحد الأنصار ثارت غيرة عائشة وحفصة نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأرسلت عائشة خادمتها بريرة لترى الأمر، فدخلت على أُمّ سلمة تسلم عليها، فسألتها عن

---

١ -الواقدي، المغازي، ٢ / ٦٨٦.

صفية بنت حيي بن أخطب أظريفة هي؟ فقالت لها أُمّ سلمة من أرسلك؟ وكانت تعرف أنّ التي أرسلتها هي عائشة، فأجابتها (إنّها لظريفة وإنّ رسول الله لها لمحب)، فجاءت عائشة متنكرة لتنظر إليها[١].

وهذه نماذج من تاريخ هذه المرأة المستقرة نفسياً والتي استوعبت حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقبلت أن تعيش مع هكذا واقع فيه نساء متعددات يشاركن برجل واحد، يرتبط به آلاف الناس ويحتاجون لقاءه في كلّ حين، ولم يُثر ذلك عندها أيَّ قلق أو غيرة على وجودها، وإذا رأينا موقف أُمّ سلمة في معركة حنين سنجد ما يؤيد طرحنا حول شخصيتها، وقد يؤيد ما ذكرناه ما جاء في الرواية التي ذكرت أنّ إحدى نساء النبيّ طلبت منه أنْ يعطي نساءه من غنائم هذه المعركة[٢]، لكنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض الأمر فقلن: (لعلك تظن إنْ طلقتنا لم نجد زوجاً من قومنا غيرك)، فأمر الله باعتزالهن وتخيرهن بين البقاء عنده وبين الطلاق، ونزلت الآية القرآنية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ

---

١ –ابن هشام، السيرة، ٣ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٢ ـ الطبري، جامع البيان، ٢١ / ١٨٨.

لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، **فكانت السيدة أُمّ سلمة أول من اختارت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)**[2].

---

١ ـ سورة الأحزاب، الآية ٢٨.

٢ ـ القمي، تفسير القمي، ٢ / ١٩٢، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢ / ١٩٨.

أثر أُمّ سلمة في فتح مكة ومعركة حنين

بعد أنّ فتح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة في السنة الثامنة للهجرة وقضى على أكبر مركز للشرك في الجزيرة العربية[1]، لم يبق أمامه حتى يسيطر على الحجاز إلاّ مدينة الطائف التي تشتمل على قبيلتي هوازن وثقيف، وقد كانت هاتان القبيلتان قد اعدتا العدة لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[2]، فأعدّ لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حملة مكونة من اثني عشر ألفاً من المقاتلين وتوجه إليهم، وفي هذه الأثناء جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعبد الله ابن أبي أُميّة أخو السيدة أُمّ سلمة وابن عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهما مشركان وأرادا الدخول

---

١ -ابن هشام، السيرة، ٤ / ٤٧ وما بعدها.

٢ -الواقدي، المغازي، ٣ / ٨٨٥.

إليه فلم يأذن لهما، وهنا تدخلت السيدة أُمّ سلمة في الأمر وقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا رسول الله صهرك وابن عمتك وابن عمك وأخوك في الرضاعة، وقد جاء الله بهما مسلمين لا يكونان أشقى الناس بك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا حاجة لي بهما أما أخي فالقائل لي بمكة ما قال لن يؤمن لي حتى أرقى السماء! وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴾))[1]، فقالت يا رسول الله: إنّما هو من قومك ما هو وقد تكلم وكلّ قريش قد تكلم وتنزل القرآن فيه بعينه وقد عفوت عمن أعظم جرماً منه وابن عمك وقرابته بك وأنت أحق الناس بالعفو عن جرمه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((هو الذي هتك عرضي فلا حاجة لي بهما))[2].

هذه الرواية تجعلنا نورد العديد من التساؤلات، أولها ما الذي فعله هؤلاء لكي يرفضهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الرفض؟ والتساؤل الثاني هو سبب رفض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأين

---

١ . سورة الإسراء، الآية ٩٣.

٢ -الواقدي، المغازي، ٣ / ٨١١.

رحمته بهم حتى تذكره أُمّ سلمة بعفوه؟ فإذا كان سبب رفض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بسبب عدائهم للإسلام؟ ألم يكن في المشركين من هو أشد عداوة منهم؟ ثم ما هو تبرير موقف أُمّ سلمة؟

إذا أردنا أن نضع أجوبة للتساؤلات المتقدمة يجب أنْ نعرف أنّ قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستوعب كلّ الناس، ولم يكن فيه مكان للأحقاد أو الكره تمثلت فيه الرحمة بأروع صورها، فلم يكن عطوفاً فقط بل العطف أخذ معناه منه وهذا ما أظهره للقرشيين الذين عذبوه وحاربوه وطردوه وهجروه وقتلوا أحب الناس إلى قلبه، عندما فتح مكة عفا عنهم من دون استثناء لكنّ هذين الاثنين اللذين جاءاه ابن عمه أبو سفيان وابن عمته عبد الله بن أبي أُمية، كانت تربطهما به من القرابة ما ينبغي أن تمنعهما عن الوقوف بوجهه ومحاربته، فهو لا يلوم قريشاً مثلما يلومهما، ولو أخذنا موقف بني هاشم من الدعوة لوجدنا حتى المشرك منهم لم يعلن عداءه ومعارضته للدعوة عدا أبي لهب، والذي جاء القرآن في لعنه على الرغم من أنّ الكثير من القرشيين فعلوا ما فعله، لكنّ لم تكن حدة الانتقادات القرآنية تصل إلى مستوى النقد الموجه إلى أبي لهب، وكذلك الحال مع أبي سفيان ابن عمّ رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما وقفت قريش بوجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قامت بنو هاشم معه تحميه وتمنعه من أعدائه ودخلوا معه شعب أبي طالب ولم يكونوا مسلمين، لذلك عندما يكون ابن عمه بهذا المستوى يكون لذلك أثر كبير على الدعوة كذلك ابن عمته، إذ إنّ بنات عبد المطلب كان لهن أثر في تقريب الناس مع بني هاشم فأصبح كلُّ من يتصل بهن مدافعاً عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء أكان مسلماً أو مشركاً، زيادة على ذلك كان أبو سفيان شاعراً معروفاً عند العرب، وكان للشعر في تلك الفترة أثره البالغ في النفوس، إذ كان من أقوى وسائل الإعلام المؤثرة آنذاك، والعرب تعودت على سماعه وتناقله وكانت تعقد هذه الندوات في أسواق العرب فيحضرها العرب من كلِّ المناطق عند وفودهم إلى مكة، وكان شعر أبي سفيان هذا مؤثراً جداً في نفوس الآتين من العرب إلى مكة، فيسمعون كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يعرض دعوته، ثم يسمعون شعر أبي سفيان وهو يهاجم محمداً ودعوته، فيترسخ ببالهم ما يريده المشركون بالدعوة، فهذا ابن عمّه يقول فيه هذا الكلام، والعرب تأخذها دائماً عصبية الدم أكثر من أي شيء آخر، فمعنى مهاجمة هذا الشخص له أنّ الذي يدعي النبوة

غير جدير بالتصديق ما دام أفراد عشيرته لا يصدقون به ويصدون الناس عنه، والعرب تعرف بني هاشم ورقيهم الأخلاقي ومكانتهم الاجتماعية والدينية، فما داموا غير مصدقين بهذه الدعوة، ويقفون بوجهها فهي إذن كما تقول قريش عنها.

أما عبد الله بن أبي أُمية فقد قدمنا قرابته برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأثر هذه القرابة على ما كان يرجوه منه من مواقف، لكنّ كان موقفه عكس ذلك تماماً، حتى أنّه تحدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تحدياً كبيراً.

أما موقف أُمّ سلمة فقد كان دقيقاً جداً فقد خاطبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأقرب شيء إليه وهو الرحمة وذلك لمعرفتها الوثيقة به، وقولها: (لقد عفوت عمن هو أعظم جرماً منه وابن عمك وقرابته بك وأنت أحق الناس عفواً عن جرمه)، يبين مدى حرصها على قرابتها الذين هم قرابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلتها الوثيقة بهم، والذكاء الذي تمتعت به بحيث اختارت أحب وأقرب الصفات إلى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي لا ينفع غيرها في هكذا مواقف، فاستطاعت بعدها أن تلين موقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجعله يقبلهما بعد

أن كان حانقاً عليهما، والمعروف أنّ الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كان نادراً ما يغضب أو يتعصب فهو اللين المتواضع من دون ضعف، الذي قال عنه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١]**، وكان أبو سفيان قد استخدم أُسلوب أُمّ سلمة في التركيز على جانب الرحمة عند الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فقال له بعد أنْ رفض مقابلتها: (واللّه ليقبلني أو لأخذن بيد ابني هذا لأذهبن في الأرض حتى أهلك عطشاً وجوعاً وأنت أحلم الناس وأكرم الناس مع رحمي بك) فبلغ ذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فرق له، أما عبد اللّه بن أبي أُمية فقال: (إنّما جئت لأصدقك ولي من القرابة ما لي من الصهر بك)، وبقيت أُمّ سلمة تلح عليه فقبلهما وأسلما)**[٢]**.**

ونحن هنا لا نعني بأيِّ حال من الأحوال أنّ أُمّ سلمة كانت ترى ما لا يراه الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)[٣]

---

١ –سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

٢ –الواقدي، المغازي، ٢ / ٨١١، الطبري، تاريخ، ٢ / ٥٠.

٣ ـ الخوئي، كتاب الصلاة، ٥ / ١١٤ ـ ١١٥.

ـ والعياذ بالله ـ بل إنّه كما قدمنا كان عاتباً عليهما من حيث قرابته بهما، وما كان يرجوه منهما من تأييد ونصرة، وأم سلمة وهي القريبة إلى قلبه تعرف أنّه سيرضى عنهما فاستعطفته لكي يعجل بذلك الرضا، ولتعرف الإنسانية مدى تقدير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للمرأة.

وبينت الأحداث التاريخية بعد ذلك صحة رأي أُمّ سلمة إذ إنّ هذين الاثنين ثبتا على الإسلام وأرادا الله، ففي معركة حنين بعد أن هجمت هوازن على جيش المسلمين في الوادي هزم جيش المسلمين وهرب الرجال إلى كلِّ مكان وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيداً ليس معه سوى مجموعة من بني عمه الهاشميين، فكان أبو سفيان بن الحارث أحد الذين ثبتوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يهرب ومعه ابنه وهو آخذ براحلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقاتل، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ((من هذا؟))، فيرد بالقول: (ابن أُمِّك يا رسول الله)[١]، أما عبد الله بن أبي أُمية فقد استشهد في معركة الطائف التي تلت معركة حنين [٢].

---

١ -الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣ / ٧٦.

٢ -الواقدي، المغازي، ٢ / ٨١١.

قوة شخصية أُمّ سلمة

إنّ ما قدمناه يبين بما لا يقبل الشك قوة شخصية أُمّ سلمة وثقتها بنفسها وصواب رأيها واستقراءها للأحداث الممزوج مع ما ذكرناه من استقرار نفسي وعقلي، كذلك ثقة عالية بمكانتها عند الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، ويمكن أنْ نتعرف أكثر على حكمة أُمّ سلمة وقوة شخصيتها من خلال الرواية التي ذكرت تدخل عمر بن الخطاب في شؤون نساء النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) على اعتبار أنّ إحدى بناته كانت زوجة للرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، فجاء في الرواية أنّ عمرَ كان له رفيق من الأنصار وكان يحاوره حول مراجعة نساء أهل يثرب للرجال، فقال له الأنصاري: (عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أنْ تراجع أنت، وأنّ ابنتك لتراجع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) حتى يبقى يومه غضبان)، وهذا الأمر جعل عمر يذهب إلى ابنته حفصة يسألها عن الأمر فقالت له: (واللّه إنا لنراجعه)، فقال

عمر: (تعلمين أنّي أحذرك عقوبة اللّه وغضب رسوله يا بنية لا تغرك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول اللّه إياها ـ يريد عائشة ـ)، ثم ذهب إلى أُمّ سلمة التي تربطها به قرابة، لأنّ أُمّه كانت مولاة لبني مخزوم، وقد أراد أن يتدخل في هذا الأمر فعند ذلك قالت أُمّ سلمة: (عجباً لك يابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أنْ تدخل بين رسول اللّه وأزواجه)، وكان هذا الردُّ بمثابة نهي لعمر عن التدخل في هذا الأمر الذي تراه أُمُّ سلمة شأناً خاصاً لا يجوز أن يتدخل فيه أحد من الصحابة، ويبدو أنّ ردَّ أُمّ سلمة كان كافياً ليوقف عمر بن الخطاب عن التدخل وهو يعبر عن هذا بقوله: (فأخذتني واللّه أخذاً كسرني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها)[1].

وهذه الرواية تؤكد أنّ قوة شخصية أُمّ سلمة أوقفت عمر بن الخطاب من التدخل على الرغم من الصلابة التي كانت تميزه، وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يعرف هذه الميزة عند أُمّ سلمة، فعندما روى له عمر قول أُمّ سلمة تبسم الرسول (صلى اللّه عليه

---

١ -البخاري، صحيح البخاري، ٤ / ١٨٦٧؛ الطبري، جامع البيان، ٢١ / ١٨٨.

وآله وسلم)[١]، والذي يبدو منها وممّا قدمناه من روايات تشمل إشارتها في صلح الحديبية وموقفها المتوازن من نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الأُخريات وأثرها في إسلام بعض من قدمناهم من أقاربها، يدلُّ على رأينا في قوة هذه الشخصية، وتتبع هذه المواقف تؤكد أنّ أُمّ سلمة كانت تتحرك اجتماعياً ويسمح لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك، ونعتقد أنّ هذا ناتج عن معرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتوازنها وعقلها الناضج، ففي السنة الخامسة للهجرة أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرب بني قريضة نتيجة لموقفهم في معركة الخندق المتحالف مع قريش وغيرها من الأحزاب، فحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمساً وعشرين ليلة، وعند ذلك طلبوا منه أن يبعث لهم أبا لبابه بن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف الأوسيين وكان بنو قريضة حلفاء الأوس، وعندما ذهب إليهم استقبله الرجال ومعهم النساء والأطفال فرقّ لهم، فقالوا له أترى أنْ ننزل على حكم فقال لهم: (نعم وأشار إلى حلقه: إنّه الذبح)، لكنّه سرعان ما شعر أنّه خان الله ورسوله[٢].

---

١ -المصدر نفسه، ٤ / ١٨٦٧.

٢ الطبري، تاريخ، ٢ / ٥٨٤.

وبعد أن انتبه إلى نفسه ذهب إلى المسجد ولم يأت إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وربط نفسه بعمود في المسجد، وقال: (لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب اللّه عَلَيَّ ممّا صنعت)، وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول: ((لو جاء لي لاستغفرت له، فأمّا إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب اللّه عليه))، وكان لأبي لبابة روابط بأُسرة أُمّ سلمة لأنّهم نزلوا عندهم عند قدومهم إلى المدينة[1]، لذلك كانت حريصة على متابعة أمر أبي لبابة، فلما رأت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يضحك سألته عن السبب، فقال لها: ((تيب على أبي لبابة))، فطلبت أُمّ سلمة من الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أن تبشره بالأمر، وكانت بيوت زوجات النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ملاصقة للمسجد، فقامت بباب حجرتها وقالت: (يا أبا لبابة، ابشر فقد تاب اللّه عليك)[2].

وفي رواية أُخرى أنّ المهاجر بن أبي أُميّة تخلّف عن غزوة تبوك فغضب عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، فكانت أُمّ سلمة دائماً الطرف الذي يقبل منه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) التوسط

---

١ ابن هشام، السيرة، ٢ / ٢٤١.

٢ الواقدي، المغازي، ٢/٥٠٨ – ٥٠٩، الطبري، تاريخ، ٢/٥٨٥.

وذلك لمكانتها عنده، ولمعرفتها بالرحمة والعطف اللذين يشتمل عليهما قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكلمته في الأمر: (كيف ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي)، فلما رأت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الرقة أومأت لخادمتها لكي يدخل أخوها على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ليذكر له عذره، فدخل على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فعذره[1]. وفي رواية ثانية أنّها سألت زوجة سلمة بن هشام بن المغيرة وكان رجع من معركة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة، فأخبرتها زوجته أنّه لا يستطيع الخروج لأنّ أهل المدينة إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: (يا فرار أفررتم في سبيل الله)، وكانوا قد رجعوا مع خالد بن الوليد بعد استشهاد قادة المعركة الثلاثة جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فعند ذلك ذهبت أُمّ سلمة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لتخبره بالأمر، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((بل هم الكرار في سبيل الله فليخرج)) فخرج[2]، وبذلك انتهت الأزمة بفضل أُمّ سلمة.

وهكذا كانت حياة أُمّ سلمة مع رسول الله (صلى

---

١ -الطبري، تاريخ، ٣ / ٣٣٠ - ٣٣١.

٢ -الواقدي، المغازي، ٢ / ٧٦٥.

الله عليه وآله وسلم) ملؤها الحكمة والتعقل تمثلت بمشاركتها المؤثرة في أحداث المدينة بعد الهجرة، واستطاعت أنْ تحفر اسمها مع الرعيل الأول من المؤمنين الذين لم تشب إيمانهم شائبة وبقيت على هذا المستوى بعد وفاته.

أم سلمة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (موقفها من السقيفة)

بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقيت السيدة أُمّ سلمة مع المسلمين واحدة منهم تعيش معهم المعاناة التي مروا بها بفقد نبيّهم وانقطاع وحي السماء عنهم بحكم قربها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تقف متفرجة في الأحداث التي مرّ بها المسلمون، والمتتبع لسيرتها يجد أنّها كانت واقفة مع الخط الذي كان يمثله عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام) وبنو هاشم، ولم تقف مع قريش على الرغم من انتسابها إليهم، ووقوف قسم كبير منهم مع الخط المواجه للإمام عليٍّ (عليه السلام)، كذلك وقوف عائشة وحفصة في هذا الجانب، لذلك نحن بحاجة إلى معرفة أسباب التزامها هذا الخط.

قد يبدو أنّ القرابة التي تربط أُمّ سلمة مع بني هاشم سببٌ في موقفها والتزامها خط الإمام عليٍّ عليه

السلام، كذلك خلافها مع عائشة وحفصة جعلها تقف في الجانب المضاد لهما، وذلك بحكم الغيرة التي تقع بين نساء الرجل الواحد. لكنّ أُمّ سلمة تميزت بمواقفها الحكيمة وإيمانها الكبير، تجعلنا لا نقبل أن نحكم على موقفها بناءً على القرابة أو الاختلاف مع الآخر.

لقد جاء في الروايات أنّ هناك تحدياً كبيراً مرّ به المسلمون بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فظهر طرفان يريدان الاستيلاء على الحكم، الأول هو الطرف القرشي الذي يقوده أبو بكر وعمر بن الخطاب، والثاني كان يمثله الأنصار الذين رشحوا سعد بن عبادة لتولي الخلافة بعدما رأوا انقلاب الحزب القرشي على توصيات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودفع الإمام عليٍّ (عليه السلام) عن خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيما بقي الهاشميون متمسكين بترشيح علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لقد كادت هذه المنافسة أنْ تنهي الدولة الإسلامية الوليدة لولا نكران الذات الذي رافق مسيرة الإمام عليٍّ (عليه السلام) كلها، وتفضيله لمصلحة الدولة على مصلحته الذاتية، فترك حقه في خلافة المسلمين ورضي بالأمر الواقع، على الرغم من عدم قناعته به، وذلك لأنّ الإسلام الذي كان أحد أسباب انتصاره اهم

عنده من توليه لمنصب الخلافة.

أما موقف أُمّ سلمة من هذه الأطراف فقد كان يتلخص بالتزامها جانب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فدخلت على المجتمعين في السقيفة بعد أنْ طلبوا بيعة الناس في المسجد، وقالت: (يا عتيق – تقصد أبا بكر – أسرع ما بدلتم حسدكم لآل محمد)، فأمر عمر بن الخطاب بإخراجها من المسجد، وقال: (ما لنا والنساء)[1].

لقد تناسى عمر بن الخطاب أنّ هذا الرأي الذي طرحته أُمُّ سلمة صادر من المرأة نفسها صاحبة الرأي في الحديبية عندما عصوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكاد الغضب الإلهي يحلُّ بهم نتيجة لهذا العصيان، فانبرت أُمّ المؤمنين الحكيمة لتطرح ذلك الرأي الرائع الذي حلَّ الأزمة والذي ما إنْ سمعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قبله وطبقه على الفور، فهل كان الرأي الذي أنهى تلك الأزمة رأي امرأة ناقصة العقل كما يلمح عمر بقوله: (ما لنا والنساء)، فلم يرضوا منها أنْ قالت في بيعة أبي بكر بضرورة التمسك ببيت النبوة وآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكنّها السياسة

---

١ –سليم بن قيس، السقيفة، ٢ / ٨٦٧.

والمصالح التي لا تعرف التزاماً دينياً وأخلاقياً.

لقد كان موقف أُمّ سلمة بعيداً كلَّ البعد عن الأسباب الشخصية، فقد كانت تعيش في بيت النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وهي زوجته المقربة التي كان يحترم آراءها الحكيمة التي قربتها إليه أكثر، فكان يحدثها ويخبرها بأُمور كثيرة من ضمنها أحاديث عن آل بيت الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، ومن هذه الأحاديث أنّها سمعت من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول: ((عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علَيَّ الحوض))[1]، وهذا الحديث كان كافياً لأن تقف أُمّ سلمة مع الإمام (عليه السلام) فمن كان القرآن معه حتى يردا الحوض على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يستحق موقفها هذا، وهي من كانت تمتاز بقوة الإيمان وتحكيم العقل ثم إنّها سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قوله بعد أنْ أدخل على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت الكساء: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم

---

١ - الطبراني، المعجم الصغير، ١ / ٢٥٥، الصدوق، الخصال، ص٦٥، الإرشاد، ص١٧٦، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ١٢٤، السيوطي، الجامع الصغير، ٢ / ١٧٧، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٠ / ٧٧.

الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة وأنا معهم، فقال: إنّكِ على خير))[١]، وفي رواية أنّه قال بعدها: ((أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم وعدو لمن عاديتم))[٢]، وذكر الرواة أنّه كان في بيت أُمّ سلمة ودعى بهذا الدعاء فنزلت الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٣]، وبيتها كان قريباً من هذا البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً، ففاطمة الزهراء عليها السلام كانت علاقتها وثيقة بها فهي يتيمة الأُمِّ فأصبحت أُمّ سلمة بمثابة أُمِّها، وكانت أُمّ سلمة تقول عنها: (كانت والله آأدب مني وأعرف بالأشياء كلِّها)[٤]، وكانت تسميها ابنتي فتقول للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن ابنتي فاطمة

---

١ - ابن حنبل، المسند، ٦ / ٣٢٣، الكليني، الكافي، ١ / ٢٨٧، الطبراني، المعجم الكبير، ٣ / ٥٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٣ / ٢٠٣، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ١٤٣.

٢ - القزويني، سنن ابن ماجة، ١ / ٥٢، الطبراني، المعجم الأوسط، ٥ / ١٨٢، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص١٤٤.

٣ -سورة الأحزاب، الآية ٣٣، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص١٠١، الترمذي، سنن الترمذي، ٥ / ٣٠ ـ ٣٢، الطبري، جامع البيان، ٢٢ / ١٠ ـ ١٣، الطبرسي، الاحتجاج، ١ / ٢١٥، ابن الأثير أُسد الغابة، ٢ / ١٢، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ١٤٤، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥ / ٢٠٧.

٤ ـ المجلسي بحار الأنوار، ٤٣ / ١٠.

جاءتك تلتمسك...)[١]، لهذا أوصت الزهراء عليها السلام الإمام عليّاً عليه السلام عندما أدركتها الوفاة أنْ لا يخبر أحداً إلاّ أُمّ سلمة وأم أيمن وفضة[٢].

كذلك ما سمعته وما عاشته أُمّ سلمة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلها على معرفة تامة أنّ آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين جاء القرآن يحثُّ على اتباعهم والتمسك بهم وعدهم عدل القرآن، وتوصيات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهم والسيرة التي سجلوها في الإسلام، وضع أُمّ سلمة مع ما كانت تمتع به من دقة نظر وعقل متوازن في مكان جعلها تنظر إلى الأُمور بصورة صحيحة فالتزمت بالخط الذي أوصى به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الموقف جعلها لا تهتك الستر الذي ضربه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دونها، والحجاب الذي خصها به الله سبحانه وتعالى، ولم تكن عامل هدم في تاريخ المسلمين بل كانت تحاول جهد إمكانها الحفاظ على وحدتهم، بما عرف عنها من آراء حكيمة محاولة أنْ تكون عنصر هدوء ورحمة كما أُريد لها لا أنْ تكون سبباً في الفتنة بين المسلمين، فاعترضت

---

١ ـ الدار قطني، العلل، ٣ / ٢٨٣.

٢ ـ المجلسي بحار الأنوار، ٧٨ / ٣١٠.

بشده عندما اعتدي على عمار بن ياسر في عهد عثمان بن عفان من قبل بني أُمية، بعد أنْ وقف بوجه النهم الأُموي على أموال المسلمين وتلاعبهم بمقدرات الدولة والإساءة إلى الإسلام والمسلمين، لا سيما أنّ عثمان فتح خزائن بيت المال أمام أقربائه من بني أُمية، وهو أن يظن أنّه يحسن عملاً لأنّه حبى أقرباءه بالأموال[1]، وكان المسلمون لا سيما الصحابة ينظرون إليها نظرة تقدير واحترام لمعرفتهم بقربها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحكمتها وعقلها، لذلك جاء في الرواية أنّ عبد الرحمن بن عوف قصدها بعد أنْ وصل إلى حدّ الثراء الفاحش ليسألها عن ماله هذا: (يا أمه قد خفت أنْ تهلكني كثرة مالي أنا أكثر قريش مالاً)، فقالت له: (يا بني فأنفق، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أصحابي من لا يراني بعد أن أُفارقه))[2].

وقد رأينا موقفها في بيعة أبي بكر والذي لا يتعدى التذكير والاعتراض، وذلك تبعاً لموقف عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، الذي آثر السكوت وترك الأُمور

---

١ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١ / ٥١ ـ ٥٢، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٣ / ٤٩.

٢ ـ المفيد، الأمالي، ص٣٧، المجلسي بحار الأنوار ٢٨ / ٢٢.

إلى ما آلت إليه، حفاظاً على وحدة المسلمين، وهي لم تعدُ هذا الأمر فقد كانت ملتزمة بما التزم به آل البيت عليهم السلام، لكنّ الأحداث عندما تسارعت ووصلت الخلافة إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) تغير هذا الموقف، فوقفت معه بكلّ قوة وكلّ ما تملك ما دامت ملتزمة بخط القرآن وهو خط عليّ بن أبي طالب، الذي وجد معارضة شديدة من جهات متعددة أبرزها معارضة عائشة ومعها الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد اللّه، ومعاوية بن أبي سفيان حاكم الشام.

وهنا برز أثر أُمّ سلمة وموقفها المتوازن في هذه المعضلة والفتنة التي مرّ بها المسلمون، وقد ابتدأت هذه الفتنة عندما حاصر المسلمون الثائرون منزل عثمان بن عفان بسبب أمور كثيرة نقموها عليه وانتهى الأمر بقتله في بيته[١]، فلم تقف أُمّ سلمة تتفرج وهي أُمّ المؤمنين فقبل أن يقتل عثمان سألته عن سبب نقمة الناس عليه ونصحته أن يؤدي حق اللّه ويراعي الناس: (يا بني مالي أرى رعيتك عنك مزورين وعن ناحيتك نافرين...، ثم قالت له: فهذه وصيتي إياك وحق بنوتك قضيتها إليك للّه عليك حق الطاعة وللرعية

---

١ -اليعقوبي، تاريخ، ٢ / ١٢٢.

حق الميثاق)[١]، وكان أشد المحرضين على الثورة طلحة بن عبيد الله وعائشة [٢]، وهي التي كانت تقول: (اقتلوا نعثلاً فقد كفر)[٣]، وعندما حُصر عثمان بن عفان في داره، خرجت عائشة إلى مكة، وعندما طلبوا منها أن تساعده رفضت ذلك، وهي التي أخرجت ثوب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: (هذا ثوب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يبل وعثمان أبلى سنته)، وعندما بلغها قتل عثمان بن عثمان لم يكن عندها شك في أنّ المسلمين نصبوا ابن عمها طلحة بن عبيد الله خليفة لهم فقالت: (بعداً لنعثل وسحقاً: إيه ذا الإصبع: إيه أبا شبل: إيه يا بن عم، لكائني أنظر إلى إصبعهِ وهو يبايع له حثوا الإبل ودعدعوها)[٤]، وفي رواية أبي مخنف أنّها عادت إلى المدينة ـ عندما بلغها مقتل عثمان وهي تظن أنّ المسلمين نصبوا طلحة خليفة ـ فقابلت عبيد بن أبي سلمة الليثي في الطريق فسألته عن الأمر: (قال قتل عثمان، قالت ثم ماذا؟ قال: ثم حارت بهم الأُمور

---

١ ـ ابن قتيبة، غريب الحديث، ١ / ٣٣٦، ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٧، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢ / ٣١٨.

٢ – اليعقوبي، تاريخ، ٢ / ١٢١ ـ ١٢٢.

٣ –ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣١، ٣ / ٤٩ .

٤ –ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣١.

خير محار، وبايعوا علياً فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض، أتم هذا؟ ويحك! انظر ما تقول، قال: هو ما قلت لك يا أُمّ المؤمنين فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أُمّ المؤمنين واللّه ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحق، ولا أرى له نظيرا في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال فما ردت عليه جوابا)[١].

وفي رواية أنّها عندما علمت بتولي الإمام عليٍّ (عليه السلام) للخلافة، قالت: (قتلوا عثمان مظلوماً، فقال لها أحد المسلمين: (يا أُمّ المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين: أبعده اللّه وقد رايتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً! فقالت: لقد كان ذلك، ولكنّي نظرت في أمرهم، فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه)[٢].

وبعد هذا التبدل في الموقف من عائشة حاولت أنْ تجد ما يمكنها من عوامل التأليب على هذه الحالة الجديدة المتمثلة بخلافة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ووجدت ما يؤيد توجهها وذلك بخروج طلحة بن عبيد اللّه والزبير بن العوام على خلافة الإمام، بعد أن بايعاه وكانا يريدان أن يوليهما على مدينتي

---

١ -المصدر نفسه، ٦ / ١٣٢.

٢ -المصدر نفسه، ٦ / ١٣٢.

البصرة والكوفة، لكنّ الإمام (عليه السلام) رفض هذا الأمر إذ كانا يظنان أن بيعتهما له ستفتح لهما خزائن بيت المال والوصول للسلطة[1]، فاستأذنا الإمام علي عليه السلام أن يخرجا لأداء العمرة فأذن لهما، وهو يستعد للقضاء على تمرد معاوية في الشام، ويحث الناس للخروج وبينما هم كذلك جاء الخبر بخروج طلحة والزبير ومعهم عائشة إلى البصرة من اجل إعلان التمرد والعصيان على الخليفة الجديد[2].

---

١ -الطبري، تاريخ، ٤ / ٤٣٨.

٢ -الطبري، تاريخ، ٤ / ٤٤٥ - ٤٤٦.

محاولة ام سلمة منع عائشة من الخروج على خلافة الامام عليٍّ عليه السلام

لقد كان موقف أُمّ سلمة من هذا الأمر متوازناً حكيما يراعي مصلحة الإسلام ويميل إلى الحق وأتباعه، لذلك عندما جاءتها عائشة تحثها على الخروج معها في هذا الأمر، وقالت لها: (يا بنت أبي أُمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت كبيرة أُمّهات المؤمنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لنا من بيتك وكان جبرائيل أكثر ما يكون في منزلك)[1]، رفضت ام سلمة هذا الطلب بشدة، وقبل أنْ نسترسل في سرد بقية كلام عائشة معها، لا بد أنْ نتوقف لإثارة جملة من النقاط، أولها أنّ الصورة التي حاولنا أن نرسمها منذ بداية البحث ظهر جوانب منها في هذا الطلب، فهي أول مهاجرة من أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه شهادة وتوثيق لقضية

---

١ -ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٣.

تاريخية دالة على مدى الإيمان الذي تجلى فيها بتركها الوطن والأهل والهجرة إلى الله، كذلك فإنّ قول عائشة لها إنّها كبيرة نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقصد هنا العمر، لأنّ هناك من بين نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من هي أسن منها، لكنّ المقصود عمادة نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وكبيرتهن بالموقف والتصرف والحكمة، وهذا ما دأبنا على توضيحه من بداية البحث، كذلك فإنّ عائشة أردفته بالقول إنّ جبرائيل أكثر ما يكون نزولاً في بيتها والنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم لهن من بيتها.

كذلك يمكن أنْ نستخلص مما تقدم أنّ عائشة كانت بحاجة إلى سند شرعي في خروجها، فأخذت تبحث عن شريك في هذا الأمر، ويجب أنْ يكون مقبولاً عند المسلمين ومؤثراً فيهم، ولم تجد عائشة أكثر تأثيراً في قلوب المسلمين من السيدة أُمّ سلمة، والدليل على ذلك أنّ حفصة بنت عمر كانت قد أيدتها في خروجها بل ارادت ان تخرج معها لكنّ أخاها عبد الله بن عمر منعها من ذلك[١]، زيادة على وجود زوجات أُخريات للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكنّها لم

---

١ -الطبري، تاريخ، ٤ / ٤٥١.

تطلب منهن الطلب نفسه، هناك غيرها من نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) موجودات ولم تتوجه إليهنّ عائشة، وهذا يعني أنّها كانت ترى وجود أُمّ سلمة معها سيشرعن لها خروجها على الامام، لكنّ أُمّ سلمة لم تكن بالمرأة التي يمكن أنْ تنساق وراء أمور كهذه، لذلك عندما قدمت لها هذه المقدمة أجابتها بالقول: (لأمر ما قلت هذا المقالة)، فقالت عائشة: (إنّ عبد الله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا، لعل الله أنْ يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا).

لقد شرحت هذه الكلمات الهدف الذي من أجله جاءت عائشة إلى أُمّ سلمة، وهي تريد أنْ تصلح أُمور المسلمين!!، وتناست أقوالها السابقة التي كانت تحرض فيها على قتل عثمان: (يا معشر قريش لا يسمونكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه)[1]، وهي التي كانت تريد أنْ يتولى طلحة الخلافة.

إنّ المسألة برمتها كانت مسألة سلطة وحكم يتقاتل عليه الناس، وعلى الرغم من رفضنا للصورة التي

---

١ –ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٢.

قتل فيها عثمان، لكنّنا لا نختلف في أنّ هناك ثورة شملت الأمصار الإسلامية على سوء توزيع الثروات من قبل عثمان وولاته، وانتشار المظالم في الدولة، كذلك لا نشك أبداً في أنّ بيعة الإمام عليٍّ (عليه السلام) لم تكن مثل سابقاتها بل هي بيعة جماهيرية تجلت فيها أروع صور الديمقراطية - إذا جاز التعبير - فلم يكن هناك ضغط على الذين امتنعوا عن البيعة، ولم يكن مخطط لها بل الناس أجمعت على اختيار عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فكان موقف عائشة يتلخص في أمرين؛ الأول هو عداء قديم مع عليٍّ بن أبي طالب، والثاني هو رغبتها في تحول الخلافة إلى ابن عمها طلحة بن عبيد اللّه.

الحجج التي قدمتها أُمّ سلمة لعائشة

كان موقف أُمّ سلمة من عرض عائشة قد اتسم بالتشخيص الدقيق في تحديد نقاط وجذور الأزمة، فابتدأت بتذكير عائشة بأُمور كانت في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولها ارتباط بما يجري في هذا الوقت، وهو تدبير ذكي جداً استمدته من القرآن الكريم والسنة النبوية في محاولة منها لردع عائشة عن ما تنوي فعله، وذلك من أجل تخليص الأُمّة الإسلامية من الفتنة التي قد تعصف باستقرارها، فكانت أنموذجاً رائعاً للمرأة المسلمة التي يفترض أنْ تكون عامل خير في الحياة الاجتماعية والسياسية، وليس عامل فرقة وخلاف على اعتبار أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء رحمة للعالمين، وعليه يجب أنْ تكون المرأة المتزوجة به جزءاً من هذه الرحمة، فإذا ثارت بينهم فتن فمن واجبها أنْ تطفئ هذه الفتنة لا أنْ تذكيها وتكون سبباً فيها، لذلك نرى السيدة أُمّ سلمة ركزت في

حديثها مع عائشة على مجموعة من النقاط:

١. ذكرتها بموقفها من عثمان: (إنّكِ كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلاَّ نعثلاً)[١].

٢. التركيز على مكانة عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام) عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ قالت لها: (وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

٣. ذكرت عائشة بأقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الإمام عليٍّ (عليه السلام)، وعائشة كانت حاضرة في هذه الأحداث بل هي سبب في هذه الأقوال: (أفأذكرك؟ قالت: نعم، قالت: أتذكرين يوم أقبل صلى الله عليه وآله وسلم ونحن معه، حتى إذا هبط من حديد ذات الشمال خلا بعليٍّ بناحية فأطال، فأردت أنْ تهجمي عليهما، فنهيتك فعصيتني، فهجمت عليهما، فما لبثت أنْ رجعت باكية، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعليٍّ: ليس لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي، فأقبل

---

١ -ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٣.

٢ -المصدر نفسه، ٦ / ١٣٣.

رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) علَيَّ وهو غضبان محمر الوجه، فقال: ((ارجعي وراءك)) فرجعت نادمة، قالت عائشة: نعم أذكر ذلك)[١].

حذرت عائشة من سيرها هذا والذي تنبأ به رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إذ قالت لها أُمّ سلمة: (وأُذكرك أيضاً، كنت أنا وأنتِ مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأنتِ تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه، وقال: ((ليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب، فتكون ناكبة عن الصراط))، فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ باللّه وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك، وقال: ((إياك أنْ تكونيها))، ثم قال: ((يا بنت أبي أُمية إياك أنْ تكونيها))، أما أنا فقد أنذرتك، قالت عائشة: نعم أذكر هذا)[٢].

ومن خلال هذه النقاط المتقدمة يتبين لنا أنّ أُمّ سلمة كانت تمتلك منطقاً سليماً وفكراً ناضجاً من خلال تسلسل المواقف التي ذكرتها بها، فبدأت تسلسل الأحداث التي مرّ بها المسلمون ثم ركزت على صفات

---

١ -ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٣.

٢ - الصدوق، معاني الأخبار، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٣.

عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام) والتي ميزته عن باقي أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي كانت صادرة من صفات ذاتية شخصها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل أن يخلق له قاعدة لا يستطيع أحد معارضتها، لا سيما وأنّه يعرف حجم المعارضة التي كانت تقف بوجه عليٍّ (عليه السلام) بسبب المواقف الصارمة التي وقفها في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، والتي لم ترضِ الكثير من الناس.

لذلك ابتدأت بموقف عائشة من التغيرات السياسية التي مرّ بها المسلمون لا سيما موقفها من عثمان بن عفان ونقمة المسلمين عليه، إذ كانت من أشد المعارضين لسياسته، حتى أنّها كانت تصرح بضرورة الثورة عليه وقتله، ولو تتبعنا جذور هذه المعارضة نجد أنّها لا تقوم على أسس موضوعية بل لأسباب شخصية ولاختلاف المصالح بينهما، وبدأت هذه المعارضة بالتحريض عليه والتصريح بقتله، ثم الفرح بموته، وكانت تريد أنْ يتولى ابن عمها طلحة الخلافة، فكان موقفها يتلخص في نقطتين رغبتها في الخلاص من الخليفة وتولية ابن عمها الخلافة، فركزت أُمّ سلمة على موقف عائشة المتناقض في هذا الأمر.

ثم ذكرتها بمكانة عليّ بن أبي طالب عند الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم) النابعة من مواقفه في الإسلام، والتي يعرفها الجميع لا سيما عائشة، هذه المكانة التي كانت عنصر قوة للإمام بحيث لا يستطيع أحد أنْ يعاديه جهراً، لذلك كانت نصيحة أُمّ سلمة وتسلسلها بالحجج يقع في باب النصيحة العاقلة لعائشة والحرص على الإسلام من الفتنة، إذ ركزت على المكانة المرموقة للإمام عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكونه مرشحه للخلافة فأيُّ معارضة تكون معارضة لأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وردّاً على ما أراده للمسلمين، لذلك سألت السيدة أُمّ سلمة عائشة: (فأيُّ خروج تخرجين بعد هذا ! قالت: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء اللّه)[1].

وعندما يئست السيدة أُمّ سلمة من ثني عائشة عن عزمها بعد أنْ قدمت لها الحجج الواضحة، لجأت إلى إخبار الإمام عليٍّ (عليه السلام) بأمر هذا الخروج، إذ كانت في مكة والإمام كان في المدينة فكتبت إليه: (أما بعد فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة، يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم عبد اللّه بن عامر بن كريز، ويذكرون أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنّهم يطلبون

---

١ -ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٣.

بدمه والله كافيهم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكنّي باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر ابن أبي سلمة، فاستوصي به يا أمير المؤمنين خيراً)[١]، فلما قدم عمر على الإمام عليه السلام، أكرمه ولم يزل مقيماً معه حتى شهد مشاهده كلّها، ثم وجهه أميراً على البحرين[٢]، وفي رواية أنها أتت بابنيها إليه، وقالت له: (هما عليك صدقة)[٣].

فكانت رسالتها هذه بمثابة مشاركة لأم سلمة مع الإمام عليٍّ (عليه السلام)، وهي لا تستطيع أكثر من ذلك، فهي تعرف مكانة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وأحقيته من هذا الأمر، لا سيما أنّها كانت تعيش في بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت منه أحاديث كثيرة تبين مكانة الإمام وما يحظى به عند الله ورسوله، لذلك آثرت البقاء في صف الإمام عليٍّ (عليه السلام)، فأرسلت إليه تخبره بالتمرد الذي يقوده طلحة والزبير ومعهم عائشة ضدّ خلافته، عارضة عليه

---

١ -البلاذري، أنساب الأشراف، ١ / ٣٤٠، الطبري، تاريخ، ٤ / ٤٥٢، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٤.

٢ . المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢ / ١٦٩.

٣ . الطوسي، رجال الطوسي، ص٤٨.

مساندتها في الحدود المسموح بها، فهي تعرف أنّ اللّه أمرها أنْ تقرّ في بيتها، كما تعلم أنّ الإمام عليه السلام لا يرضى هذا منها، فأعطته ما هو أغلى عليها من نفسها، وهو ابنها عمر الذي دفعته إلى الإمام (عليه السلام) ليكون في صفه ويمثل نصرة أُمّ سلمة لقضية الإمام (عليه السلام) العادلة.

ثم عملت أُمّ سلمة مرة أُخرى على إلقاء الحجة على عائشة إذ لم تكتف بما قالته لها في السابق، بل أرسلت إليها وهي في طريقها إلى البصرة فقالت لها: (إنّك سدة بين محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن عقيراك فلا تصحريها، واللّه من وراء هذه الأُمّة، لو أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أن يعهد إليك عهداً علت علت، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، إنّ عمود الإسلام لا يثاب بالنساء إنْ مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الأطراف وخفر الإعراض وقصر الوهازة، ما كنت قائلة لو أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) عارضك في بعض الفلوات، ناصة قلوصاً، من منهل إلى آخر، إنّ بعين اللّه مهواك وعلى رسوله تردين، وقد وجهت سدافته، وتركت عهيداه، لو سرت مسيرك هذا ثم قيل

لي: أدخلني الفردوس لاستحييت أنْ ألقى محمداً صلى اللّه عليه وسلم هاتكة حجاباً، وقد ضربه علي، اجعلي حصنك بيتك ووقاعة الستر قبرك، حتى تلقينه، وأنت علَىَّ تلك أطوع ما تكونين للّه بالرقبة، وأنصر ما تكون للدين ما حلت عنه، لو ذكرتك قولاً تعرفينه لنهشت نهش الرقشاء المطرقة، فقالت عائشة: ما أقبلني لوعظك! وليس الأمر كما تظنين، ولنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتين متناجزتين، إن اقعد ففي غير حرج، وإن أخرج فإلى ما لا بد لي من الازدياد منه) [1].

لقد ذكرت لها أُمّ سلمة كلِّ ما كان من شأنه ردعها عما تنوي القيام به، وهي مستندة في كلامها إلى كتاب اللّه وسنة نبيه، وتلمس في هذا الكلام الحرص على الإسلام والغيرة على بيت الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فلا تحب أن ترى إحدى أزواجه تخرج من الإطار الذي وضعه اللّه ورسوله، فهي ترى أنّهن باب وسدة منيعة بين الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وبين أُمَّته فكيف تكون هذه السيدة هي التي تخرج فينهار هذا البناء ما دام الباب فتح على مصراعيه، فإذا كانت زوج الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) سبباً للفتنة

---

١ -ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦ / ١٣٥.

فماذا يكون حال الآخرين. وهذا منطق سليم تميزت به أُمّ سلمة وهي تضع خطاً تحت المحظورات التي لا يجب أنْ يفعلها المقربون من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الحجاب يجب أنْ يبقى مضروباً على نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّ القرآن أقرّه.

أما الإصلاح بين الناس لا يكون بالخروج للحرب، وحرب من؟ حرب عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحد الأركان التي قام عليها الإسلام، والله كفيل بالأُمّة بعد أنْ هيأ لها من القادة ما يكفي لحل مشكلاتها وليست محتاجة لإحدى نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تخرج إلى الصحراء منتهكة حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو أراد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يجعل إحدى نسائه وصية على المسلمين ومشرفة على سير المعارك لعهد لها ولسماها للمسلمين، وأعلمهم بأنّها القادرة على حلِّ المشكلات التي يمرُّ بها المسلمون، وهنا اعترضت أُمّ سلمة على هذا الموقف الذي وقفته عائشة وهي تنصب نفسها وصية على المسلمين، ولم تكتف بالكلمة بل خرجت تشارك في الحرب، وهذه الحرب على المسلمين وليس على أعدائهم، وهذا جور واضح ومخالف للعدل بل على العكس كان الرسول (صلى الله

عليه وآله وسلم) قد نهى نساءه من الخروج في الأرض معرضة حجابها للانتهاك، إذ إنّ عمود الدين لا يقام إذا حصل ميل فيه، والصدع الذي قد يحدث في بناء الإسلام لا يمكن أن يسد بهن فالمرأة يجب أنْ تكون مهمتها غض طرفها والحياء من الخروج، وهذا هو المحمود منها وليس العكس الذي لا تحمد عليه، فكيف الحال لو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجد إحدى نسائه وهي راكبة بعيرها تسير في الصحارى تحث السير لإثارة الفتنة، فماذا تقول له؟، لقد خرجت لأحارب من هو منك بمنزلة هارون من موسى، من هو نفسك بنص القرآن الكريم، ولأنّي أردت أن أصلح بين المسلمين وأُنصب ابن عمي طلحة خليفة للمسلمين، ترى ماذا يكون جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينذاك وهو الذي عرف أنّ إحدى نسائه سوف تخرج هذا الخروج وركز على عائشة وأمّ سلمة وحذرهما منه.

وهي إذ تحذر عائشة وضعت نفسها في موضعها على سبيل الافتراض، ولو أنّها خرجت هذا الخروج وقابلت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدار الآخرة يوم تعرض أعمال العباد، وتجاوز الله تعالى عما عملت في الدنيا، يبقى لها دافع نفسي وأخلاقي يمنعها من دخول أعلى درجات الجنة استحياءً من الله

تعالى لعملها الذي عملته بانتهاك حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكونها سبباً في الفتنة التي وقعت بين المسلمين، فكيف يكون اللقاء مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما أقدمت عليه بعد وفاته، إذ إنّها لم تأخذ بالرأي الذي قدمته لها أُمّ سلمة، وبررت ذلك بأنّها خرجت لتصلح بين فئتين متناجزتين وهي تقول لام سلمة إنّ الخروج والقعود سيان وفي الحالتين لها فضيلة.

إنّ ما تقدم من البحث يشير إلى أنّ أُمّ سلمة وقفت بشكل لافت في صف الإمام عليٍّ (عليه السلام)، وهي التي عاشت معهم وسمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما سمعت، فهي تعرف أنّ عليّاً مع الحق والحق مع عليٍّ لذلك التزمته، وكانت على الدوام تحدث بفضائل آل البيت[1]، لقد كانت تراهم مثالاً للصدق والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والزهد والتقوى وتمثلت بهم روح الإسلام الحقيقية لذلك ربت أبناءها على حبهم، فأرسلت ابنها عمر إلى الإمام (عليه السلام) ليكون معه وفي صفه في المعارك التي يخوضها، فولاه الإمام ميسرة جيشه في معركة الجمل[2]، وبعد معركة

---

١ ـ الطبرسي، الاحتجاج، ١ / ٢١١ ـ ٢١٦.

٢ – سيف بن عمر، الجمل، ص١٠٧، البلاذري، أنساب الأشراف،

الجمل أرسله الإمام والياً على البحرين لكنّ حاجته اليه في معركة صفين جعلته يرسل إليه، ويبعث والياً بدلاً عنه ليكون أحد قواده[1]، وقد كتب له الإمام رسالة تجلى فيها علو مكانته عنده ومدى الثقة والحب الذي يكنه له: ((إنّي قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي من غير ذمٍّ لك ولا تهمة فيما تحت يدك، ولعمري لقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة، فأقبل إلي غير ظنين ولا ملوم فإني أريد المسير إلىَّ ظلمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي فإنّك ممن أستظهر به على جهاد العدو، وإقامة عمود الدين إن شاء اللّه تعالى))[2]، وهذا الأمر زيادة على تربية أُمّ سلمة له ومساسه الكبير برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وما ناله منه من الحنان والعطف والتربية، إذ كان ربيباً لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كما هو معروف، فإنّ هناك أثراً نفسياً تركه في نفسه أبوه الشهيد، إذ كان من أوائل شهداء المسلمين، فانعكس ذلك على سلوك عمر الذي التزم جانب الحق والتزم بخط

---

١ / ٤٣٠، الطبري، تاريخ، ٤ / ٤٤٥.

١ -البلاذري، أنساب الاشراف، ١/ ٤٣٠، الطبري، تاريخ، ٤/٤٤٥.

٢ . البلاذري، أنساب الاشراف، ١ / ١٥٩، اليعقوبي، تاريخ، ٢ / ٢٠١.

الإسلام الحقيقي، لذلك كان من أوائل من التحق بالإمام عليٍّ (عليه السلام)، وهو على معرفة تامة بمكانته عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان يرى دخوله على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرابة الروحية التي تربطهما معاً، ورأى كفاح الإمام عليٍّ (عليه السلام) في الإسلام، ويعرف جيداً ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحقه، وهو الذي سمع أُمّه تقول: (قال رسول الله: ((من أحب عليّاً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله))[1]، وسمع منها: (قال رسول الله: ((عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض))[2].

ولم يكن الأمر مقتصراً على عمر بن أبي سلمة، فقد كانت أُخته زينب مدافعة عن قضية الإمام (عليه السلام) بما عرفته عنه وما سمعته من أُمّها، فلما استشهد الإمام (عليه السلام) ووصل الخبر إلى عائشة تمثلت بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

---

١ -الطبري، تاريخ، ٤ / ٤٥٢، السيوطي، تاريخ، ص ٧٣.

٢ - السيوطي، تاريخ، ص ٧٣.

ثم قالت: من قتله، فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإنْ يك نائباً فلقد بغاه

غلام ليس في فيه التراب

فانبرت لها زينب بنت أبي سلمة لتوقفها عن هذا الذي تقوله، صادحة بالقول:

(ألعليٍّ تقولين هذا)، وكانت هذه الكلمات القليلة كافية لتصحيح الموقف، فقالت عائشة (إذا نسيت فذكروني)[1].

وبقيت أُمّ سلمة مدافعة عن هذه القضية حتى مع بقائها في المدينة، فعندما نزل الإمام (عليه السلام) بذي قار، ينتظر وصول جزءاً من جيشه من الكوفة، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر تخبرها أنّه محصور في هذه المنطقة، ففرحت الأخيرة بهذا الأمر، فجمعت صبيان بني تيم وبني عدي وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن ينشدن: (ما الخبر ما الخبر عليّ كالأشقر إنْ تقدم نحر وإن تأخر عقر)، فسمعت أُمّ سلمة بالأمر فأخذت تبكي، وقالت: (أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأقع بهن) لكنّ أُمّ كلثوم بنت الإمام قالت لها إنّها سوف تخرج وتنهي الأمر[2]، وفي رواية أنّ مولى أبي ذر دخل على

---

١ ـ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٦.

٢ ـ المفيد، الكافئة، ص١٦.

أُمّ سلمة، فسألته عن موقفه في معركة الجمل، لاسيما بعد أنْ رأى عائشة تقاتل الإمام عليّاً، فأخبرها أنّه داخله الشك في بداية الأمر لأنّه رأى عائشة ثم بادر إلى القتال مع الإمام، فقالت له أُمّ سلمة: (أحسنت سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: ((عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ لن يفترقا حتى يردا علَيَّ الحوض))[1].

هذا يعني أنّ هذه الأُسرة بقيت ملتزمة بقضية عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وشهدت ما شهدته الأُمَّة الإسلامية من تحولات خطيرة تحمل انحرافات خطيرة عن مسار الإسلام وتدعو لدعوات جاهلية، فتمرد بعض أصحاب الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) على الخلافة الشرعية، وأعلن معاوية الأُموي العصيان في الشام، إزاء هذه الأُمور كان لا بد للإمام عليٍّ (عليه السلام) أنْ يرفع راية التصحيح التي ترجع الأُمور إلى نصابها وتؤسس للمجتمع الذي أراده الإسلام، فخاضت حروباً لا تدخل بالحسبان إذ خرج المسلمون يحارب بعضهم بعضاً وكلٌّ يحمل تصورات تختلف عن الآخر، لكنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) ببصيرته النافذة وما عرفه من رسول اللّه (صلى

---

١ ـ المفيد، الجمل، ص٢٢٣، الطوسي، الأمالي، ص٣٦٠، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣ / ١٢٤، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢ / ٢٠٦.

اللّه عليه وآله وسلم) كان على يقين من أمره ولم يشك لحظة أنّه على الحق، فما كان من أُمّ سلمة إلاّ أن تقف بما أعطاها اللّه من قوة مع الصف الملازم للقرآن، وكانت نهاية الأمر استشهاد الإمام عليٍّ (عليه السلام).

موقف أُمّ سلمة من المحنة في ظل الدولة الأُموية

كانت الأُمور التي تشهدها الأُمّة الإسلامية بعد وفاة الإمام عليٍّ (عليه السلام) أشد خطورة من الوضع بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك لأنّ المجتمع الذي تركه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان وثيق الصلة به، وهو قريب من صاحب التنزيل مؤمن بما جاء به متتبع لخطواته، لم تستطع دعوات الجاهلية اختراقه، ما دامت جذوة الإيمان متقدة في النفوس لقربها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكنّ الحال اختلف في عهد الإمام عليٍّ (عليه السلام) فقد تراكمت الأموال وأصبحت هناك طبقية في المجتمع فهناك أُناس بلغوا الثراء الفاحش، وآخرون يعانون الجوع والحرمان، وأصبح قادة الجاهلية أُمراء المسلمين يتحكمون بالأنفس والأموال، والصحابة الذين ربّاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الزهد والتقوى

أصبحوا متخمين بالثروات، وبجانبهم من لا يجد ما يسد به رمقه، وإزاء هذا التناقض العجيب والتحول الكبير في أهداف الدعوة الإسلامية، وقف الإمام علي عليه السلام لتصحيح هذه الأوضاع لكنّ الحرب أتته من كل مكان حتى ممن كان معه بالأمس يدافع عن الإسلام، وكل يريد الحكم والسلطة إلى جانب الأموال التي امتلكوها، ففتحوا الباب أمام أصحاب الدعوات الجاهلية التي بدأت تعلن عن نفسها، فأصبح قائد المشركين في الجاهلية يقف نداً لمن قام الإسلام بسيفه، وطمع في أنْ يتأمر على المسلمين وهو الذي مَنَّ عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأطلقه، فاستطاع معاوية أنْ يسيطر على الأُمّة بعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام وخذلان الناس للإمام الحسن عليه السلام، هذه الأُمّة التي سعت وراء الدينار والدرهم، فتمكن معاوية أنْ يحقق في الإسلام ما عجز عن تحقيقه في الجاهلية، فأصبح يسمى الخليفة معاوية بن أبي سفيان !!!، وهو القائل: (إنّي واللّه ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني اللّه ذلك كلّه وأنتم له كارهون)[1]، فأصبح

---

١ ـ ابو الفرج الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٥، التميمي، شرح الأخبار، ص٥٣٣، المفيد، الإرشاد، ٢ / ١٤، ابن عساكر،

أمر الأُمّة مرهون بما يريده معاوية، وكان ذلك نتيجة لما فرطوا من أمرهم ورضوه لأنفسهم، بعد أنْ أعطوا كلَّ مكتسبات الجهاد الطويل المضني وأدوات الدعوة الإسلامية الجاهزة لمعاوية ليستعملها لغير ما أراده اللّه ورسوله، فجعلوه يمتلك قوة لا تقاوم، فمن امتنع منهم عن بيعة عليٍّ (عليه السلام) بالأمس، جرى من أجل أنْ يرتمي على قدمي معاوية يبايعه وهو مرغم غير مهاب الجانب.

فكانت أُمّ سلمة قد ابتليت بما ابتلي به المسلمون، فجاء بسر بن أرطاة إلى المدينة وكان الوالي عليها أبو أيوب الأنصاري ليأخذ بيعة أهلها لمعاوية بالقوة والقتل، ويقول لو لا ما أوصاني به معاوية لما تركت رجلاً إلا قتلته، وهذا الأمر كان طبيعياً في دولة الدم والقتل، فالمعارض غير محترم في صحبته لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أو أعماله في الإسلام، لا يحترم إلاّ من كان موالياً لمعاوية، فقامت أُمّ سلمة وأوصت ابنها عمر بن أبي سلمة وزوج ابنتها زينب عبد اللّه بن زمعة أنْ يبايعوا معاوية ليحقنوا دماءهم[1]، فهذا الذي جاء ليأخذ

تاريخ دمشق، ٥٢ / ٣٨٠.

١ ـ الطبري، تاريخ، ٥ / ١٣٩، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢ / ١.

البيعة لا يتورع عن قتل أحد، فما الفائدة من ذهاب الأنفس مادامت لا تحقق التغيير، فاضطرت إلى هذا الموقف للمحافظة على الحدِّ الأدنى من التواصل مع الدعوة الإسلامية، والمتمثل بالإبقاء على حياتهم حتى يحدثوا الناس بما سمعوه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكونوا شهداء على التاريخ.

كانت تعلم أنّ هذه البيعة هي بيعة ضلال باطلة والناس مغصوبون وليس لديهم خيار في هذا الأمر، وهذا دال على التعقل فجاءها جابر بن عبد الله الأنصاري، وهو مطلوب لرسول معاوية الذي هدد بني سلمة الأنصار بالإتيان على آخرهم إنْ لم يأتوا به، يستشيرها على هذا الأمر الذي حلّ بالناس، فأشارت عليه بالقول: (أرى أن تبايع فإنّي أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أنْ يبايع وأمرت ختني عبد الله بن زمعة)[1]، (يا بني انطلق فبايع، احقن دمك ودماء قومك، وانّي لأعلم أنّها بيعة ضلالة)[2]، لكنّها على الرغم من ذلك لم تألُ جهداً في سبيل الدفاع عن آل البيت عليهم السلام، ففي رواية أنّ معاوية مرَّ بالمدينة بعد رجوعه من مكة فالتقى بالصحابة، وكان من ضمنهم سعد بن أبي وقاص فقال

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ٥ / ١٣٩.

٢ ـ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢ / ١٠.

له: (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعليٍّ أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار، قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، قال: فقال سعد: هذه أُمّ سلمة تشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقاموا جميعاً فدخلوا على ام سلمة، فقالوا: يا أُمّ المؤمنين إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا سعد يذكر عن النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لم نسمعه إنّه قال يعني لعليٍّ أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار، فقالت ام سلمة في بيتي هذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليٍّ...)[1].

وهكذا انقلبت أمور الأُمَّة الإسلامية فأصبح الطلقاء قادة الأُمَّة متسلطين على رقاب الناس يفعلون ما يشاءون، والناس لا حول لها ولا قوة في ظل هذا الظلم والانحراف، فكانت أُمّ سلمة ترى ما حلَّ بالمسلمين وهم يسمعون سبَّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على منابرهم ولا يعترض أحد، لأن من اعترض قتل وعذب ونفي، وهي تروي لهم قول الرسول (صلى الله عليه وآله): ((من سبّ علياً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله ومن

---

١ . ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٠ / ٣٦٠، الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٧ / ٢٣٥.

سبّ اللّه أدخله نار جهنم وله عذاب عظيم))[١]، فيروي أبو إسحاق السبيعي أنّه جاء إلى المدينة فرأى الناس يسيرون إلى مكان ما فاتبعهم، فدخلوا على أُمّ سلمة فسمعها تقول: (يا شبيب بن ربعي فأجابها رجل جلف حافي لبيك يا أُمّاه، فقالت: أيسب رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم في ناديكم؟، فقال: إنّا نقول شيئاً نريد عرض الحياة الدنيا فقالت: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول ((من سبّ علياً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ اللّه))[٢]، وعندما جاء وفد من أهل الكوفة إلى المدينة ودخل على أُمّ سلمة قالت لهم: (أنتم الذين تشتمون النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم)، فقالوا: (ما علمنا أحداً يشتم النبيّ قالت: بلى أليس تلعنون علياً وتلعنون من يحبه وكان رسول اللّه يحبه)[٣]، وفي رواية أنّ ميثم التمار جاء إلى مكة في السنة التي قتل فيها من اجل أداء فريضة الحج، فدخل على أُمّ سلمة فسألته من أنت؟، فقال أنا ميثم وهنا تذكرت ما ذكره الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فيه وعلاقته بالإمام عليٍّ (عليه السلام) فقالت له: (لربَّما سمعت من رسول اللّه يذكرك

---

١ ـ الطوسي، تلخيص الشافي، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

٢ ـ الحميري، كتاب جزء علي بن محمد، ص٢٨.

٣ ـ الطبراني، المعجم الاوسط، ١ / ١١١.

ويوصي بك علياً)، وعند ذلك سألها عن الإمام الحسين (عليه السلام)، فقالت له: (إنّه في حائط له، فقال أخبريه أنّي قد أحببت السلام عليه فلم أجده ونحن ملتقون عند ربِّ العرش إنْ شاء اللّه)، فدعت أُمّ سلمة بطيب ليطيب لحيته، وقالت له: (أما إنّها ستخضب بالدم)[1].

كلُّ هذه المآسي شهدتها أُمّ سلمة فالمسلمون مغلوبون على أمرهم لا ينجو من بطش الدولة الأموية إلاّ من سايرهم وسلك خطهم وأعلن العداء لعليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فميثم الذي تحدثنا عنه لم يكن يشكل خطراً على الإسلام، بل كان الأُمويون يشعرون بخطره على دولتهم، فقد كان يحدث بفضائل آل البيت، وهو من بسطاء الناس الذين لا يملكون إلاّ الحب لهذا البيت، الذي أوصى اللّه بحبهم فهو عبد كان مملوكاً لامرأة من بني أسد اشتراه الإمام عليٌّ عليه السلام وأعتقه، فتعلق هذا المسلم البسيط بالإمام (عليه السلام) بعد أنْ عاش معه وغرف من بحر التواضع والأخلاق والقيم والزهد والشجاعة، فاستحلى العذاب من أجله، فهو لا يبالي بأيِّ شكل كان موته مادام متمسكاً بخط عليٍّ (عليه السلام)، والتغييرات التي شهدتها أُمّ

١ ـ الثقفي، الغارات، ٢ / ٧٩٦، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢ / ١٢٨.

سلمة مع المسلمين في كيان دولة الإسلام جعلت هذا النقي الزاهد البسيط المحب لآل بيت الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يتعرض لأبشع أنواع العذاب على يد عبيد اللّه بن زياد عندما تولى الكوفة، لكنّه كان منتظراً لما أخبره به الإمام (عليه السلام)، إذ قال له إنّه سيصلب على باب عمرو بن حريث على جذع نخلة وأراه ذلك الجذع، فكان ميثم يأتي الجذع ويصلي عنده، ويقول: (بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت، فلم يزل يتعاهدها حتى قطعت)، ثم كان يلقى عمرو بن حريث فيقول: (إنّي مجاورك فأحسن جواري)، فيقول له عمرو: (أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم وهو لا يعلم ما يريد)[1]، وبالفعل قتل وصلب على ذلك الجذع، لذلك عندما أتى إلى السيدة أُمّ سلمة وسألها عن الإمام الحسين (عليه السلام) لم ينتظر حتى يعود بل خرج إلى الكوفة لأنّه لا يريد إثقاله لأنّه مطلوب من الأُمويين بسبب مواقفه المؤيدة لآل البيت، وهو على يقين أنّ أُمّ سلمة كان لها ارتباط وثيق بالإمام الحسين (عليه السلام)، فهي التي خصها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بتربته التي سيقتل عليها، فحملها

---

١ ـ الثقفي، الغارات، ٢ / ٧٩٦، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢ / ١٢٨.

أمانة الولاء له وللخط الذي يمثله، وكأنّه يريد القول أنت التي أئتمنكِ الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وذلك لمعرفته بقربك من أهل بيته وولائك لهم، أخبريه وأنت الشاهدة على مأساة العصر أنّي باقٍ على عهدهم.

وعلى هذه الحال قربت نهاية حياة أُمّ سلمة الحافلة بالأحداث بعد أنْ تجاوزت الثمانين من عمرها، وبعد أنْ شهدت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي المؤتمنة على تربته، فقد أخبرها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) باستشهاده، فكان في بيتها وطلب منها أنْ لا يدخل عليه أحد: (فجاء الحسين وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبيِّ صلى اللّه عليه وآله وسلم، فدخلت أُمّ سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره وإذا النبيُّ يبكي، وإذا في يده شيء يقلبه فقال: ((يا أُمّ سلمة إنّ هذا جبرائيل يخبرني أنّه مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيها عندك فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي))، فقالت أُمّ سلمة: يا رسول اللّه سل اللّه أنْ يدفع ذلك عنه، قال: ((قد فعلت فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليّ إن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأنّ له شيعة يشفعون فيشفعون، وأنّ المهدي من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته هم واللّه

الفائزون يوم القيامة))[1].

لقد كان قرب هذه المرأة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصاقها الوثيق بآل البيت، وعلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ببقائها على قيد الحياة حتى تشهد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، جعله يحملها هذه الأمانة لتكون شاهدة على عصرها في هذه المأساة، وبالفعل نقلت شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للتاريخ، وبقيت منتظرة هذا اليوم حتى إذا أراد الإمام الحسين (عليه السلام) الخروج إلى الكوفة، قابلته لكي تمنعه من الخروج إليها وهي خائفة عليه، فقالت له: (لا تخرج إلى العراق فقد سمعت من رسول الله يقول ((يقتل ابني الحسين بأرض العراق)) وعندي تربة دفعها إليّ في قارورة...)[2]، لكنّ الإمام كان يعلم أنّه لا يستطيع البقاء في المدينة لأنّه في كلّ الأحوال مقتول من قبل الأُمويين مادام معترضاً على حكم يزيد فلابد من الخروج في هذه الحركة الإصلاحية، لذلك أعطاها وصيته وبعض الكتب وقال لها: ((إذا أتاك أكبر ولدي

---

١ ـ اليعقوبي، تاريخ، ٢ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦، ابن أبي الدنيا، الهواتف، ص٨٧، الصدوق، الأمالي، ص٢٠٣، المفيد، الإرشاد، ص١٣٠، الذهبي، ميزان الاعتدال، ١ / ١٣.

٢ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥ / ٨٩.

فادفعي إليه ما دفعت إليك)) فلما استشهد الإمام أتى عليٌّ بن الحسين (عليهما السلام) إلى أُمّ سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاها الإمام الحسين[١].

أُمُّ سلمة الحكيمة الموالية أصبحت ذات يوم وهي تبكي، فقيل لها: مالك، فقالت: (لقد قتل ابني الحسين، وما رأيت رسول الله منذ مات إلاّ الليلة، فقلت بأبي أنت وأُمي ما لي أراك شاحباً، فقال: لم أزل منذ الليلة أحفر قبر الحسين وقبور أصحابة)[٢]. وروى شهر بن حوشب أنّه كان عند أُمّ سلمة فدخلت عليهم صارخة تصرخ وهي تقول قتل الحسين فقالت أُمّ سلمة: (فعلوها ملأ الله قبورهم ناراً)، ثم وقعت مغشياً عليها[٣]، وفي رواية أنّ أُمّ سلمة كانت أول من عرفت باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطاها قارورة فيها تربة، وقال لها: ((إذا صارت دماً عبيطاً فأعلمي أنّ الحسين قد قتل)) وكانت عندها، فلما خرج الإمام إلى العراق أخذت تنظر إلى القارورة في كلّ ساعة فلما رأتها صارت دماً صاحت: (واحسيناه وابن

---

١ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦ / ١٨.

٢ ـ الصدوق، الأمالي، ص٢٠٣، المفيد، الإرشاد، ص١٣٠.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٤ / ٢٣٨، ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص٧٥، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥ / ١٢٤.

رسول اللّه وتصارخ الناس من كلِّ ناحية حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثلها قط)[١].

وبعد أنْ شهدت هذه المأساة وأُصيبت بالحسين عليه السلام حبيب الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الذي أوصى أُمَّته به[٢]، ورأت ما جازت الأُمّة نبيها في ولده، فلو أوصاها بقتلهم لما زادوا على الذي صنعوه بهم.

فذهبت إلى ربِّها حاملة للشكوى من هذه الأُمّة التي ارتضت لنفسها أنْ تولي الطلقاء أمرها ليتحكموا بمصيرها، فيقتلوا عترة النبيِّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وهي تتفرج لا تحرك ساكناً، وكأنّ الأمر لا يعنيها، ولم يكتف الطلقاء بما صنعوه بل زادوا عليه، فأرسلوا مسلم ابن عقبة المري أحد الجفاة الطغام إلى مدينة رسول اللّه حيث الصحابة وأبناؤهم إلى طيبة التي طيبها اللّه ونورها برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ليسموها الخبيثة، ويستبيحها وينهب أموال أهلها ويقتلهم ويأمر جنده بالاعتداء على الأنفس والأعراض لا لشيء إلا

---

١ ـ اليعقوبي، تاريخ، ٢ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

٢ ـ البخاري، التاريخ الكبير، ٨ / ٤١٥، الترمذي، سنن الترمذي، ٥، ٦٥٨، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١٠ / ١٥١، أحمد بن حنبل، المسند، ٤ / ١٧٢.

لأنّ رسول اللّه كان يحبها ويحب أهلها، فأيُّ مصيبة أكبر من هذه يمكن أنْ تصاب بها دولة الإسلام، ولم تسلم أُمّ سلمة من هذا الأمر فقد جاء عمرو بن عثمان بن عفان إلى يزيد بن عبد اللّه بن زمعة ابن زينب بنت أُمّ سلمة وأخذه من جدته ليبايع ليزيد، وعندما وصل إلى مسلم ـ الذي سماه أهل المدينة مسرفاً لكثرة ما أراق من دماء أهلها ـ فقال له: (بايع على أنّكم خول لأمير المؤمنين ومما أفاء اللّه عليه بأسياف المسلمين)، وعندما رفض الأمر قتله رغم ترجي عمرو له[1]، فلم تكن هناك حرمة لأحد بعد الإمام الحسين (عليه السلام) فقد تجاوزوا حاجز القدسية والحرمة ولم يبق شيء لم يصنعوه.

وعلى هذه الحال ذهبت إلى ربها محافظة على ما جاء به الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) من اللّه مطيعة لأوامره متبعة لأهل بيته، فكانت وفاتها في السنة الحادية والستين من الهجرة النبوية ودفنت في البقيع[2].

---

١ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١ / ٥١ ـ ٥٢.

٢ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٩٩، ابن حبان البستي، الثقات، ٣/٤٣٩/الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/ ٧٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/٢١٤-٢١٥، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨.

الخاتمة

بعد أنْ جمعنا الروايات التي تخص حياة أُمّ سلمة ومواقفها اكتشفنا في شخصية هذه المرأة نقاطاً جوهرية جعلتنا نعيد النظر بالكثير من القناعات الاجتماعية التي ورثناها عن الإسلام، فقد كنا نسمع أنّ الإسلام احترم المرأة وأعطاها مكانة مميزة، لكننا وجدنا أثناء بحثنا في تاريخ أُمّ سلمة أنّ الإسلام لم يكن يحترمها فقط بل أعطاها أدواراً ريادية، وجعلها تتصدر المواقف فكانت مكانتها توازي مكانة الرجل.

كما لمسنا من خلال بحثنا المتواضع أنّ الإسلام لم يكرم المرأة ليراعي انسانيتها فقط، بل جعلها ركيزة أساسية في قيادة المجتمع وبنائه على مستوى الأُسرة الصغيرة أو البناء الكلي الشمولي له، فرأينا أُمّ سلمة قادرة على حلِّ الكثير من المشاكل ولها قول مسموع ورأي محترم، والذي يسمع قولها ليس فرداً عادياً أو حاكماً زمنياً، بل هو رسول رب العالمين المسدد من السماء الذي

لا ينطق عن الهوى، ويأخذ بآرائها ويستجيب لذلك، والسؤال الذي قد يطرح، هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قاصراً عن إدراك هذه الآراء حتى تشير عليه أُمّ سلمة؟ إنّ هذا السؤال لا يحتاج إلى تفكير عميق، فهو الرسول الأعظم المبعوث من السماء المستغني عن الناس، لكنّه كان معلماً أراد أنْ يعلم أتباعه، ويؤسس لمجتمع تحترم فيه الآراء والطروحات، لاسيما المرأة التي لم يكن لها حضور فاعل قبل الإسلام، فكانت ممتهنة ومغيبة في مجتمع الجاهلية، لذلك عندما أراد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يبني المجتمع أدخل كلّ عناصره في البناء، ولم يستثن أحداً.

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعتبر رأي هذه المرأة بناءً وفاعلاً، فأصبحت المرأة شريكة في اتخاذ القرار وإدارة المجتمع والدولة، فكانت النتيجة أن ظهرت نساء مثل أُمّ سلمة موضوعة البحث، تميزت بسيرة لا تشوبها شائبة أبداً، وهي مواقف تستحق الإعجاب والتقدير، وهذا ملخص ما وصل إليه البحث.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

3YƘdžǮǩkƗ ơ ǫ

ـ ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، ت ٦٠٦هـ،

١ ـ النهاية في غريب الحديث، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، مؤسسة إسماعيليان، ط٤، قم ١٣٦٤.

ـ ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني، ت ٦٣٠ هـ،

٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٠.

ـ أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ،

٣ـ مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت د. ت.

ـ الأزرقي، محمد بن عبد الله ت ٢٥٠ هـ،

٤ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح محسن، ط٢، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة ١٩٦٥ هـ.

ـ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١ هـ،

٥ـ السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨.

ـ البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي ت ٢٥٦ هـ،

٦ـ صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، د.ت.

٧ـ التاريخ الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٣.

ـ ابن بكار، الزبير ت٢٥٦ هـ،

٨ ـ منتخب من كتاب أزواج النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) للحسن بن زبالة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار إحياء التراث الإسلامي، السعودية، ١٩٨١.

ـ البلاذري؛ أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ،

٩ـ أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد اللّه، دار المعارف، مصر ١٩٥٩.

ـ الترمذي، محمد بن عيسى ت ٢٧٥هـ،

١٠ ـ سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.

ـ التميمي، النعمان بن محمد ت ٣٦٣ هـ،

١١ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم د ت.

ـ الثقفي، إبراهيم بن محمد ت ٢٨٣ هـ،

١٢ ـ الغارات، تحقيق جلال الدين المحدث، د. م، د.ت.

ـ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٤٩٧ هـ)،

١٣ـ صفة الصفوة، تحقيق محمد فاخوري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩.

١٤ـ زاد المسير، تحقيق محمد بن عبد الرحمن، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧.

ـ الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد ت ٤٠٥ هـ،

١٥ـ المستدرك، تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦ هـ.

ـ ابن حيان، محمد بن حسان البستي ت ٣٥٤ هـ،

١٦ـ الثقات، تصحيح عبد الخالق الأفغاني، حيدر آباد الدكن الهند ١٩٦٨.

- ابن حبيب، محمد بن حبيب ت٢٤٥،

١٧ـ المحبر، تصحيح اليزة ليختن شتيتر، المكتب التجاري، بيروت ١٣٦١هـ.

ـ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني ت٨٥٢ هـ،

١٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨هـ.

ـ ابن أبي الحديد، عبد الحميد المدائني (ت٦٥٦هـ)،

١٩ـ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م.

ـ ابن حزم، محمد بن علي الأندلسي ت(٤٥٦هـ)،

٢٠ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف مصر ١٩٧١.

ـ الخوئي، السيد أبو القاسم،

٢١ـ كتاب الصلاة، المطبعة العلمية، قم ١٣٦٨.

ـ الدار قطني، علي بن عمر ت٣٨٥ هـ،

٢٢ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية، دار طيبة، الرياض ١٤٠٥.

ـ ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن سفيان ت٢٨١هـ،

٢٣ـ كتاب الهواتف، د.م، د. ت.

ـ الذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ)،

٢٤ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر ١٩٥٧.

٢٥ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٢هـ.

ـ ابن سعد، محمد بن سعد ت٢٣٠هـ،

٢٦ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د.ت.

ـ سليم بن قيس ت ٧٦ هـ،

٢٧ـ السقيفة، تحقيق محمد باقر الأنصاري، قم ١٣٨١هـ.

ـ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت(٩١١هـ)،

٢٨- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين، مصر١٩٥٢.

٢٩- الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت د ت.

- سيف بن عمر الضبي ت ٢٠٠ هـ،

٣٠- الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق أحمد راتب عمروش، دار النفائس، بيروت ١٣٩١هـ.

- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي ت ٣٨١ هـ،

٣١- الأمالي، مؤسسة البعثة، قم ١٤١٧ هـ.

٣٢- معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر غفاري، قم ١٣٦١هـ.

٣٣- الخصال، تحقيق علي أكبر غفاري، قم د ت.

- الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي ت ٣٦٠ هـ،

٣٤- المعجم الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت د ت.

٣٥- المعجم الأوسط، تحقيق إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، د م، د. ت.

٣٦- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، مصر د. ت.

- الطبري، محمد بن جرير ت٣١٠هـ،

٣٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٨.

٣٨- جامع البيان في تفسير آي القرآن، دار الفكر، بيروت.

ـ الطبرسي، أحمد بن محمد ت٥٦٠ هـ،

٣٩ـ الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف د. ت.

٤٠ـ مجمع البيان، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٥ هـ.

ـ الطوسي، محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ،

٤١ ـ الخلاف، تحقيق علي الخراساني وآخرين، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧ هـ.

٤٢ـ تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان، ط٤، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٥.

٤٣ ـ رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٥ هـ.

ـ ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر ت٣٨٠ هـ،

٤٤ـ بلاغات النساء، قم د. ت.

ـ ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الشيباني ت٢٨٧هـ،

٤٥ـ الأوائل، دار الخلفاء، الكويت د ت.

ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله ت٤٦٣هـ،

٤٦ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، مكتبة النهضة مصر د ت.

ـ ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد ت٣٥٦هـ،

٤٧ـ العقد الفريد، القاهرة ١٩٤٩.

ـ أبو عبيدة، معمر بن المثنى (٢٠٧ هـ)،

٤٨ـ تسمية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولاده، تحقيق ناصر حلاوي، جامعة البصرة.

ـ ابن عساكر، علي بن الحسن ت ٥٧١ هـ،

٤٩ـ تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.

ـ علي بن محمد الحميري ت ٣٢٣ هـ،

٥٠ـ كتاب جزء علي بن محمد، تحقيق زبير بن مجدد، دار الطحاوي، الرياض ١٤١٣.

ـ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي ١٠٨٩ هـ،

٥١ـ شذرات الذهب، بيروت د ت.

ـ أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت د ت.

ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ،

٥٢ـ المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩.

٥٣ـ الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، قم ١٤١٣ هـ.

٥٤ ـ غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بغداد ١٤٠٨.

ـ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري ت٦٧١ هـ،

٥٥ـ الجامع لأحكام القرآن، القاهرة ١٩٥٠.

ـ القمي، علي بن إبراهيم ت ٣٢٩ هـ،

٥٦ـ تفسير القمي، ط٣، مؤسسة دار الكتاب، قم د ت.

ـ ابن كثير، إسماعيل ت ٧٧٤ هـ،

٥٧ـ البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.

ـ الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩ هـ،

٥٨ـ الكافي، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٧ هـ.

ـ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ،

٥٩ـ سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت د ت.

ـ المجلسي، محمد باقر ت ١١١١هـ،

٦٠ـ بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ.

ـ مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ،

٦١ـ الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت د ت.

ـ مصعب الزبيري، مصعب بن عبد الله ت ٢٣٦ هـ،

٦٢ـ نسب قريش، دار المعارف، مصر ١٩٥٣.

ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ت ٤١٣ هـ،

٦٣ـ الإرشاد، دار المفيد، بيروت د ت.

٦٤ـ الأمالي، المطبعة الإسلامية، قم د ت.

٦٥ـ الجمل، المطبعة الحيدرية، النجف د ت.

٦٦ـ الكافئة في إبطال توبة الخاطئة، ط٢، دار المفيد، بيروت ١٩٩٣.

ـ المقدسي، مطهر بن طاهر ت ٣٥٥ هـ،

٦٧ـ البدء والتاريخ، باريس ١٩٣١.

ـ النحاس، أبو جعفر ت ٣٣٨ هـ،

٦٨ـ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أُمّ القرى، السعودية ١٤٠٩.

ـ ابن نما الحلي ت ٦٤٥ هـ،

٦٩ـ مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٠.

ـ ابن هشام، عبد الملك ت ٢١٣ هـ،

٧٠ـ السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف طه، مصر ١٩٧٤.

ـ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ،

٧١ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

٧٢ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٣٥٣.

ـ الواحدي، علي بن أحمد ت ٤٦٨هـ،

٧٣ـ أسباب النزول، القاهرة ١٩٦٨.

ـ الواقدي، محمد بن عمر ت ٢٠٧ هـ،

٧٤ـ المغازي، تحقيق ماردسن جونس، دار المعارف، مصر ١٩٦٤.

ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ت بعد ٢٩٢ هـ،

٧٥ـ تاريخ اليعقوبي، تقديم محمد صادق بحر العلوم، النجف ١٩٦٤.



- الشرهاني، حسين علي،

٧٦- حياة السيدة خديجة بنت خويلد (عليه السلام)، دار الهلال، بيروت ٢٠٠٥.

٧٧- الشرهاني، حسين علي، هاشم وعبد المطلب وأثرهم في استقرار في أوضاع قريش، مجلة جامعة ذي قار العلمية ٢٠٠٦.

- العلي، صالح احمد،

٧٨- الدولة في عهد الرسول، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٨.

- الملاح، هاشم يحيى،

٧٩- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، جامعة الموصل ١٩٩١.

- واط، مونتغمري،

٨٠- محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، بيروت ١٩٥٢.